# المشرق

## البانية

### نظر جغرافي تاريخي اجتماعي

للاب لويس شيخو اليسوعي

قلَّما تجد في بلاد الدولة العثمانيَّة قطرًا شغل افكار اربابها كالولايات الواقعة في حدود تركيَّة اوربَّة الشامة لبلاد البانية. فانَّ سلاطين بني عثمان منذ تربَّعوا في دست السلطنة في حاضرة البوزنطين صرفوا همَّتهم الى تلك الجهات ليكسروا نخوة اهلها ويوطدوا فيها سيطرتهم. الَّا انَّهم لم يبلغوا منها غايتهم كما شاؤوا فكان ذلك البركان لا يخمد مدَّة الَّا ريثما يجمع قواه فيقذف حممهُ المحمورة ويلتهم بنيرانهِ ما تعرَّض لثورانهِ. وكان الالبان في هذه المدة الاخيرة عادت اليهم نوبة الهيجان فتهدَّدوا الدولة بنشر معالم الفتن واصلاء الحروب في ثغور الممالك العثمانيَّة فسمع زئيرهم حتى اقاصي البلاد وكان لزجرتهم وقعٌ سيءٌ في القلوب. فلهجت الالسن في امورهم وكثر القال والقيل في احوالهم. فرأينا ان نحرّر هنا فصلًا جامعاً يوقف قرَّاءنا على صحيح اخبارهم ليكونوا على بصيرة من يقينها ويميّزوا بين غثها وسمينها

### ١ جغرافيَّة البانية

اسمها عُرفت البانية في العهد القديم باسم ايبروس وكان يدخل فيها قسم من بلاد ايليرية وداطية. اما اسمها البانية فلم يشع قبل القرون الوسطى قيل ان معناهُ البلاد الجبليَّة وبهِ دُعيت بلاد اخرى لوفرة جبالها. والاسم الذي اطلقهُ

عليها الاتراك هو ارناوطلك اي بلاد الارناؤوط وقد زعم البعض انهم اشتقوه من لفظ الارغونوط احد شعوب اليونان القديمة. والصواب انّ هذا الاسم مشتقّ من لفظة يونانيّة حديثة ارڤانيتيس ( Αρβανίτης ) التي هي البانية ( Albanitis ) بعينها فقالوا « أرڤانوط » ثمّ قدّموا النون على حرف العلة فقالوا ارناؤوط. امّا الالبانيون فيدعون أنفسهم باسم شكيبيتار ومعناه في لغتهم «حاملو النسر» او «ابناء العُقاب» وليس كما زعم البعض « ابناء الصخور » وانتسابهم الى العقبان انّما كان لسكناهم بين الجبال ولذلك اتّخذوا في سالف الاعصار النسر كشعارهم فرسموهُ على راياتهم. وبوجيه دعوا ايضاً اوطانهم شكيبريا

﴿ موقعها وحدودها ﴾ موقع البانية في تركيّة اوربّية بين الدرجة ٣٩° و٤٣° من العرض الشمالي وبين ١٩° و٢١° ٣٠' من الطول الشرقي. تحدّها شمالاً بلاد البشناق والجبل الاسود وجنوباً بلاد اليونان ويتصل بها غرباً بحر الادرياتيك وبحر اليونان وتتاخمها شرقاً ولاية الروملي ومقدونية فيبلغ طول بلاد البانية نحو ٥٠٠ كيلومتر وعرضها نحو ٢٨٠ ك

﴿ وصفها ﴾ بلاد الالبان اوفر بلاد تركية اوربّية جبالاً وصخوراً تقوم في وسطها الاطواد كحواجز طبيعيّة لا يقوى احد على قطعها. وقد ورد في خرافاتهم انّ ابليس في قديم الزمان كان يطوف سهول الارض وعلى ظهره جرابٌ كبير فيه الجبال ليقسمها بين جهات المعمور فلمّا وصل الى نواحي الالبان انشقّ الجراب فصار نصيب البانية من الجبال والصخور اوفر من سواها. وما يثبت بالنظر الى خارطة البانية انّ جبالاً عديدة تقطعها على خطوط متساوية من شمالها الشرقيّ الى جنوبها الغربي حتى تكاد تتصل بسواحلها البحريّة كلبنان. وهذه الجبال لاحقة بجبال الالب المتفرّعة في النمسا. اوربّة الوسطى والجنوبيّة. وهي تتركب في شمال البانية واوساطها من كربونات الكلس والطباشير وفي جنوبها من عناصر بركانيّة. ومن هذه الجبال ما يبلغ ٢,٣٠٠ متر علوّاً فيتعمّم بالثلوج الغرّاء.

وتكثر هناك الامطار في الاودية لاسيما في تشرين وكانون وتجري فيها الانهار الزاخرة كنهر دَرِين ونهر موراڤا ونهر ڤاردار وصخار وغيرها. وهذه الانهار اشبه بسيول جارفة في فصل الشتاء فاذا جاء الصيف نضبت وكادت تيبس فلا تصلح للمراكب

والقوارب الأنهر ارتا في حدود اليونان ونهر بوجانا قريباً من اشقودره . وفي البانية بحيرات واسعة كبحيرات سويسرة اخصّها بحيرة اوخريدة وبحيرة برسبا وبحيرة قنتروك وبحيرة اشقودره

اما المناخ فيختلف اختلافاً كبيراً على حسب مواقع البلاد فالهواء معتدل في السواحل في فصل الشتاء بينما يقرس البرد في داخل البلاد على قدر ابتعادها من البحر . وفي اعالي الجبال ربّما هبطت درجات الحرارة الى ٢٠ و٢٥ تحت الصفر من المقياس المئوي حتى انّ الانهار عينها تجمد . امّا الربيع والصيف فيطيب فيهما الهواء في الجهات العليا على خلاف السواحل التي تغلب عليها الرطوبة والحمّيات لما يبقى من المستنقعات الوخمة في جوارها . وترتفع درجة الحرارة الى ٢٨ و٣٠ فوق الصفر

﴿ حاصلاتها ﴾ حاصلات البانية تتنوّع مع اختلاف طبقات علوّها . فترى في سواحلها وسهولها واوديتها ضروب الغلّات كالحنطة والشعير ولا سيما الذُرَة التي يغتذي بها عموم الاهلين وكذلك صنوف الخضر والبقول والقطن والكتان والقرمز والتبغ الجيد . اما التربة فكثيرة الخصب حتى ان الفلّاح يستغلّ منها في بعض نواحيها غلتين في السنة . وعلى معاطف تلالها الكروم الحسنة ويصطنعون الخمر المستطابة . وتكثر عندهم الاشجار المثمرة بانواعها لاسيما الزيتون ويزرعون شجر التوت لتربية دود القزّ . وعلى جبالها الغابات المتسعة من الصنوبر والشربين والدلب يستحضرون منها الاخشاب والراتينج

وفي جبالهم الذئاب والدببة والخنازير البرّية والنمورة ويصطادون الايائل . وهناك تحلّق النسور وكواسر الطير . وهم يربّون الخيل الجياد ومنها صنف بلدي معتدل القوام قويّ البنيّة . واكثر اشتغالهم بتربية المواشي فلهم القطعان التي لا يفي بها احصاء من الغنم والبقر والماعز وهم ينسجون من اصوافها المنسوجات المطرّزة وسواها التي يُقبل عليها الزبائن وتباع في الخارج

ولا تخلو البانية من المعادن المختلفة كالرصاص والحديد والفحم المعدني والقير الّا ان الاهلين لم يكادوا حتى اليوم يستثمرونها

﴿ اقسامها واخصّ مدنها ﴾ يقسم الجغرافيون البانية ثلاثة اقسام : البانية العليا او الشماليّة والبانية الوسطى او المركزية والبانية الجنوبيّة . امّا الدولة العثمانيّة

فانها جعلت البانية اربع ولايات: قوصوه ومناستر شرقاً ثمّ اشقودره ويانيه غرباً. فلقوصوه ستة سناجق: اسكوب وپرشتنه ويكي بازار وايبك وطاشليجه وپرزرين تُقسم الى ٢١ قضاء و١٦ ناحية ويربي قراها على ٣١٠٠ قرية. ولمناستر خمس سناجق: مناستر وسرفيجه ودبره وايلبصان وكوريجه تبلغ اقضيتها ٢٢ قضاء ونواحيها ٣٤ ويلحق بها نيف و١٠٠ قرية. ولاشقودره سنجقان: اشقودره ودراج مع ثانية اقضية وعشر نواحي يتبعها ٤٧٦ قرية. امّا يانيه فسناجقها اربعة: يانيه واركي وپروزه وبرات فيها ١٥ قضاء و١٠ نواحي ونحو ١٦٠٠ قرية. فاخصّ مدنها الشمالية قوصوه واسكوب من اسواق التجارة المهمّة وپرشتنه احد المراكز الحربيّة الحصينة ويكي بازار او نوڤي بازار في موقع راقتا حاضرة الصرب القديمة وايبك واشقودره التي لها فرضتان على بحر الادرياتيك اي بار ودراج الشهيرة قديماً باسم دورازُو ودير اكيوم احدى المدن التجاريّة الكثيرة المعاملات مع ايطالية. واشهر مدن البانية المتوسطة مناستر التي يدعوها الترك ايضاً بطاليه وهي مدينة وافرة الخيرات فيها بقايا اديرة قديمة اشتقوا منها اسمها ومعناهُ الدير. امّا البانية الجنوبيّة فاكبر حواضرها يانية او يانينة التي موقعها في جوار دودون الشهيرة في تاريخ اليونان بهيكلها حيث كان يُعبد المشتري ثمّ دعاها النصارى يوحانينا اكراماً للقديس يوحنّا الرسول ومنها اشتقّ المحدثون اسم يانينة. وهناك ايضاً مدينة اركى وهي ارجيروكسترو ليست بعيدة عن البحر حيث الفرضة الفاصلة بين البانية وايطالية

﴿ اهلها وعناصرها ﴾ انّ الاحصاءات في تعريف عدد الالبانيين تختلف كثيراً اذ كلها مبنيّة على الحدس والتخمين. والمرجح ان الالبانيين في الولايات الاربع يبلغون مليوناً ونصف مليون. وهم ينقسمون الى اسباط او عشائر يدعونها فيس او فراس لكل منها زعيم او امير يساعدهُ بعض الشيوخ في تدبير السبط. فالى هذه الشورى يرجعون في امورهم. والالبانيون على اختلاف اسباطهم يرتقون الى شعب قديم يُدعى بيلاسج (Pélasges) هاجر قسم منهُ الى ايطالية واليونان وهم ينقسمون اليوم الى عنصرين كبيرين هما في نزاع وخصام ابد الدهر العنصر الشمالي المعروف باسم غاغ ( Guègues ) والعنصر الجنوبي المسمى توسك (Toskes) يفصل بينهما نهر شكومب. وللعنصرين اخلاق الجبليين الذين يفضلون الاستقلال والحرية على ما

سواها وهم مطبوعون على شظف العيش والقناعة وكلهم من ذوي الفراسة والتحسس يرون في الحروب والقتال لذّة وارتياحاً . ولهم نفوس ابيّة فلا يصبرون على ذلّ ولا ينضون على ضيم فاذا سُفك دم احدهم لا يدعهُ اهلهُ مطلولاً فلا يزالون يرصدون القاتل حتى يقتلوهُ او واحداً من ذويهِ ولو كان اعزّ من عُقاب . والارنأوطي شاكّ بالسلاح ابداً لا تفارقهُ بندقيّتهُ ليلاً مع نهار ومن امثالهم : من نزع عني بندقيتي نزع عني اخي وسندي . وترى الاحداث والفتيات لا يسيرون الّا وفي اوساطهم الخناجر او الفرود . وان دعاهم الشيوخ الى الحرب لبّوا دعوتهم من ساعتهم فساروا الى مقاتلة العدو كسيرهم الى وليمة يتغنّون باغانيهم الوطنيّة ويتناشدن القدود الحماسيّة ولا يبالون بالموت . وبينهم التضامن والتحالف فيعدُّ كل منهم ابن عشيرتهِ كنفسهِ فيبذل ذاتهُ دونهُ . ولربّ البيت في العائلة المقام الارفع والسلطة التامة لا يأتي احد امراً الّا باذنهِ . واولادهُ اطوع لديهِ من خنصرهِ . امّا المرأة فهي في حالة حرجة تراها مقصورة في بيت ابيها وهي فتاة وفي بيت زوجها بعد اقترانها بشاب لم تعرفهُ على حسب رضى والدها . واذا اتت امراً مريباً قُتلت قتلاً شنيعاً بحكم اهلها الادنين وعليها في البيت الاشغال الشاقّة فعيشتها اشبه بعيشة العبيد . ومع هذا ترى النساء في امان تامّ لو شئن لَطُفن كل نواحي وطنهنّ دون ان يتعرض احد لنفوسهنّ او ينتهك حرمتهنّ . والنساء عادةً قويّات البنية طويلات القامة . ومع ما خُصّ به الالبانيون من الفظاظة والخشونة قد اشتهروا ايضاً بالاستقامة وصدق المعاملة والامانة في الخدمة

وبين الالبانيين عناصر اخرى اختلطت بهم اخصُّها امّة الزنزار وهم من الثلاثين واصلهم من قدماء الداقيين الذين كانوا في خدمة الرومان وهم يمتازون عن الالبانيين بسحنتهم واخلاقهم وهم يشتغلون بالزراعة وابنية البيوت ورعاية المواشي

﴿ لغاتهم وآدابهم ﴾ للالبانيين لغة خاصة يرتقي اصلها الى السنسكريتيّة فلها علاقة مع اللغات الاوربيّة القديمة الّا انها امتزجت بتوالي الاعصار بكثير من الالفاظ الصقليّة واليونانيّة واللاتينيّة والتركيّة . وبين لغة الغاغ ولغة التوسك اختلاف يُذكر حتى لا يكاد بعضهم يفهم البعض الآخر . ولهم كتب لدرس لغتهم سعى المرسلون الكاثوليك في نشرها منذ القرن السابع عشر في رومية بالحرف اللاتيني . وكذلك شاعت بينهم الروايات الوطنيّة والانشيد . ومن شعرائهم في القرن الثامن عشر يوليو

باريبوبا قصد القصائد الدينيّة واشتهر بعده في القرن التاسع عشر الكاثوليكي دي راد والمسلم نسيم بك . ولهم اليوم بعض جرائد ومطبوعات ادبيّة . وكانت مدارسهم قليلة جدًا وسعت الدولة العثمانيّة بنشر الحروف العربيّة بينهم فكان ذلك من اقوى الاسباب لاهمال التخرّج بالآداب الوطنيّة . لكنّ الكاثوليك كانوف عادتهم قد فتحوا المدارس لاحداثهم وهذّبوهم على قدر ما سمحت به الاحوال

ادیانهم ﴿ كان للدين الكاثوليكي التقدّم على سواه قبل فتح الاتراك لبلاد البانية : ولمّا بسطوا عليها سيطرتهم هاجر كثيرون الى ايطاليا واستغرّ الطمع بقسم كبير فدانوا بالاسلام ليحصلوا على املاك المهاجرين وعلى الامان والحريّة . وقد اكد كثيرون من الذين عرفوهم انهم لم يأخذوا من الدين الاسلامي سوى قشرته قال اليزه روكلو في جغرافيّته العامّة ( Elisée Reclus, *Géographie Universelle* ) : " ليس للالبان المسلمين غيرة كبيرة على الدين وقد حفظوا كثيرًا من عادات النصارى القديمة فارتدّوا دون ايمان صادق ومن امثالهم قولهم : حيث السيف فهناك الايمان ". والمسلمون اليوم في البانية نحو الف الف واكثرهم في ولايتي قوصوه ومناستر لقربهم من الاتراك

وفي البانية ايضاً ١٢٥,٠٠٠ من الروم التابعين لكنيسة القسطنطينية لهم اساقفة يهتمون بتدبيرهم الروحي . واكثرهم في ولاية يانية . وكثير منهم في جهات اليونان

اما الكاثوليك فارقى اهل البانية حضارةً واكثرهم في ولاية اشقودره . ومنهم قبائل المردة والماليسور والماتية . يبلغ عددهم الرسمي ١٣٠,٠٠٠ لهم في البانية ست ابرشيّات . منها ابرشيتان متوطنتان بالكرسي الرسولي توًا وهما ابرشيّة دراج وابرشيّة سكوب . والابرشيّات الثلث الاخر يرعاها ثلاثة اساقفة من الفرنسويين كراسيهم في ولاية اشقودره في مدن ساپا وأَلِسّيو وپولاتي تحت رئاسة مطران مركزه في حاضرة اشقودره واسمه في يومنا السيد سيريجي ( Mgr G. Sereggi ) منذ سنة ١٩١٠

٣ نظر تاريخي

كانت البانية في القرون السابقة لعهد الرومان موطناً لقبائل مستقلّة تتقلّل في جبالها وهي ترعى المواشي . فلما قويت شوكة المقدونيين في القرن الرابع قبل المسيح

ساروا الى القسم الجنوبي من البانية وهو المعروف بايپيروس ففتحهُ فيلبوس ابو الاسكندر ذي القرنين وضمَّهُ الى بلادهِ فصار لاحقاً بدولة اليونان ومشى كثيرون من اهلهِ في جيوش الاسكندر فامتازوا بشجاعتهم وبعد موت ذي القرنين استقلَّ بعض ملوكهم اشهرهم پيرُّوس في القرن الثالث قبل المسيح فانهُ نزع الملك من ايدي منتصبهِ وفتح الفتوحات العديدة وحارب الرومان وانتصر عليهم ومصَّر بلادهُ التي امست اخبارها دوراً عظيماً في اساطير اليونان فجاروا فيها مقام آلهتهم وكسوا جبالها واوديتها وينابيعها وغاباتها ثوباً قشيباً من خرافاتهم التي لم تزل تتناقلها عنهم اخلافهم فشاعت شيوعاً عظيماً

وكانت جهات البانية الشمالية والشرقيَّة المعروفة ببلاد إلِيريَّة وميزيا اخذت ايضاً تنتبهُ من سِنَتها وتنضو عنها ثوب الهمجيَّة فجمع اهلها كلمتهم تحت رئاسة ملوك وطنيين. الَّا ان الجبَّار الروماني لم يلبث ان يتطالَ للبلاد الواقعة ما وراء بحر الادرياتيك طامعاً نحوها ببصرهِ ففي السنتين ١٦٧ — ١٦٨ ق م زحف پول اميل بجنود رومية الى تلك البلاد وابطل دولها والغى سلالة ملوكها والحقها بالجمهوريَّة الرومانيَّة فصارت ادارتها في ايدي ولاة وحكَّام من قبل الدولة وبقيت تحت سيطرة الرومان اجيالاً عديدة الى ان خلفهم الروم البوزنطيون في القرن التاسع

وكانت النصرانيَّة دخلت في جبال البلقان وبين الامم ساكنة في وسطها بعد المسيح بزمن قليل نفذت اليها من مقدونية ومن نواحي اليونان حيث بشر بولس الرسول ثم تبعة الرسل. وقد ذكرت التواريخ الكنسيَّة اساقفة لبعض مدن البانية منذ القرن الثالث كما انها روت اخبار عدد من الشهداء ماتوا هناك في سبيل دينهم قبل قسطنطين

ولمَّا ضعفت دولة البوزنطيين انقضَّ الصقالبة والبلغار على البانية ولواحقها وصارت قسماً من بلغارية الكبرى فبقيت خاضعة لملوك البلغار ثلاثة اجيال حتى انتقض حبل الدولة البلغاريَّة فعاد ملوك الروم سنة ١٢٠٤ م واستولوا على البانية وانشأوا فيها دولة دامت مئة سنة بنيف واقطعوها امراء من قرابتهم من سلالة كومنين لكن ملوك نابولي والبندقة جعلوا يرمون بطرفهم الى نواحيها فتملَّك الدوق حنَّا ثاني ابناء ملك نابولي على أَلبيو وضبط البندقة اشقودره وارتا وبعض

المدن الساحلية كدراج واستقلّ القسم الآخر تحت حكم امرائها

ثمّ ظهرت دولة بني عثمان فامتدت في القرن الرابع عشر والخامس عشر الى جهات البلقان وانتشبت تلك الحروب الهائلة التي شابت لها رؤوس الاطفال ففتح الاتراك مقدونية ورومانية والبلغار والصرب والبشناق فلم يقم في وجههم قائم معا بذلهُ بعض ملوك النصارى من الهمّة والبسالة الغريبة كجان هونياد (Jean Hunyade) وماتياس كورفين (Mathias Corvin) وغيرهما. وكانت البانية تتوقع غزوات الاتراك الذين عرفوا نخوة اهلها فامتنعوا مدّة عن محاربتها ورضوا باداء الجزية من اميرها جان كستريوتا الذي ارسل ابنهُ جرج كرهينة للسلطان مراد الثاني. فبقي جرج في حوزة بني عثمان الذين غصبوهُ على دينهِ ودعوه اسكندر بك (Scanderbeg)

فلما مات ابوه طلب ان يُطلق سراحهُ فلم يُجب السلطان الى دعوتهِ فساءهُ ذلك وانتهز فرصة واقعة جرت في نيسا سنة ١٤٤٣ فثار هارباً بعد ان حصل على صكّ امضاه لهُ كاتب اسرار الدولة مؤداه ان تُفتح لهُ قلعة كرويا في البانية. فلما وصل الى وطنهِ اعلن بدينهِ النصراني وضبط القلعة ونادى بالحرب بين مواطنيهِ فتبعهُ الارناؤوط وسكّان الجبل الاسود وسار بهم الى محاربة الاتراك وانكى فيهم النكايات المتوالية حتى صار اسمهُ مرادفاً للبطل المغوار وللفارس الظافر قيل انهُ غلب الجيوش العثمانيّة في ٢٢ موقعة كبيرة وبقيت البانية طول حياتهِ حائزة حريّتها التامة

ولعلّ البانية لم تكن لتفقد استقلالها بعد وفاة اسكندر بك سنة ١٤٦٧ لولا ان شيطان التفريق والتقسيم دخل بين زعمائها وصدع شملهم فعاد اليها الاتراك وضموها الى ممالكهم. وفي سنة ١٤٧٨ تخلّى البنادقة للدولة عن اشقودره على انّ هذا الخضوع للدولة العثمانية كان قليل الثبوت سريع العطب بالنظر اكثر منهُ بالفعل. وكان السلاطين اذا حاولوا الضغط على البانية قام اهلها في جبالهم وشقّوا عصا الطاعة الى ان تعدل الدولة الى الرفق وتؤثر غضّ النظر

وكثيراً ما دعا بعض امراء الالبان الوطنيين الى نفوسهم كالاميرين الالبانيين محمود مصطفى بوشتلي في اواخر القرن الثامن عشر فعصيا مدّة على الدولة. وقام في اوائل القرن التاسع عشر علي باشا المعروف بالتبه دلّني والي ياننية فهذا اقترن بابنة احد رؤساء الالبانيين وجيّش الجيوش وعاهد انكلترة ثمّ استقلّ في الحكم

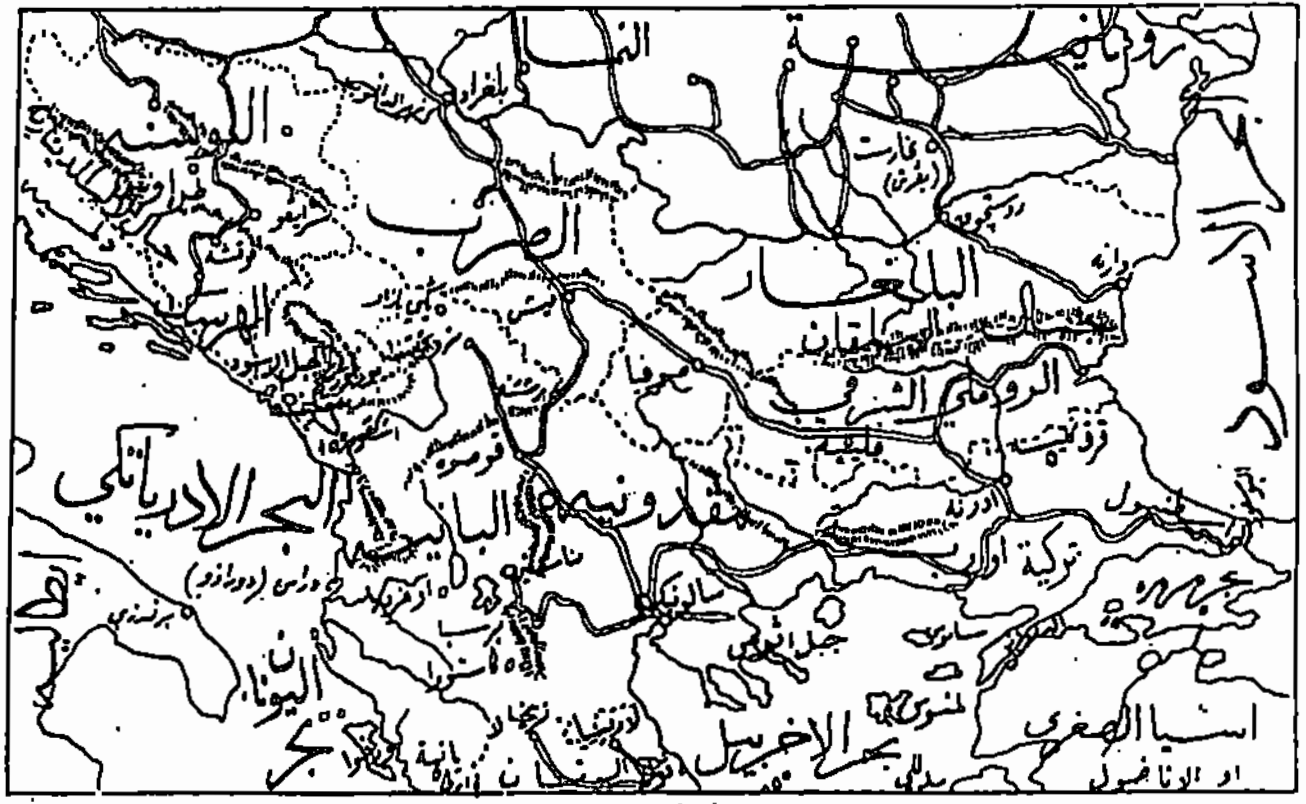


خارطة البانية

وشبه جزيرة البلقان

وجعل يانية قصبة ملكه فحصّنها وزانها وانشأ فيها المدارس وجهّز لها المكاتب متقفياً آثار الامم المتمدنة. وبقي كذلك الى السنة ١٨٢٢ حيث خانهُ خورشيد باشا فقتلهُ غيلةً بمساعدة اليونان

على ان الالبان لم يبرحوا عن طلب الاستقلال فاوقدوا نار الحرب سنة ١٨٣٠ ثمّ سنة ١٨٤٣ ثم سنة ١٨٧٩ لما قصد مندوبو معاهدة برلين ان ينزعوا قساً من البانية ليضمّوها الى الدول المجاورة ثم اخيراً السنة ١٨٨٧ فكانت كل هذه الثورات دليلاً باهرًا على اباء الالبانيين وتفانيهم في سبيل وطنهم وتفضيلهم المنيّة على فقدان الحريّة

### ٣ نظر اجتماعي

عرف الباب العالي ما في قلوب الالبانيين من الثبات ورباط الجأش والارتياح الى معامع القتال فاراد تأليف خواطرهم بأن منحهم بعض الامتيازات وعافاهم من أداء الجزية وتركهم في جبالهم يجرون على عاداتهم التي ألفوها منذ سالف الزمان في التشريع والمحاكمات وعقاب الجناة اذ يرفعون دعاويهم الى شيوخهم ولا يسمحون لعمّال الدولة بان يتداخلوا في امورهم الّا في بعض القضايا المعلومة. وكان المسلمون منهم ملتزمين بالخدمة العسكرية الّا انّ كثيرين بينهم كانوا لا يؤدونها لقلّة ضبط الاحصاءات

امّا النصارى فكانوا معافين من الخدمة وربما انتظموا في سلك جيوش الدولة متطوّعين فكان المرّدة يؤلّفون فرقةً ممتازة لهم قائد من دينهم وراية خاصة تمثل الشمس حمراء تشعُّ على نسيج ابيض ذي اطار احمر. وفوق الشمس صورة الهلال وفوق الهلال صليب. وكان يسير بصحبتهم كاهن كاثوليكي يخدمهم في الروحيّات. وقد اعترفت الدولة العلية بفضل هؤلاء النصارى وجازتهم على بأسهم بان منحتهم في كل عام مئة حمل ذُرَة من اعشارها او ما يوازي ثمنها

وان سألت من هم هؤلاء المرّدة او المِرديت كما هو الشائع. اجبنا انّ البعض يقولون انهم من نسل اولئك المردة الذين كانوا في قيليقية وانتدبهم ملوك بوزنطية الى الدفاع عن لبنان على عهد بني اميّة فحاربوا المسلمين مدّة الى ان وقع الصلح بين ملوك الروم والخلفاء فعادوا الى قيليقية. فمن المحتمل ان فرعاً منهم اعتصم بعد ذلك

بجبال البلقان فتناسلوا وكثروا وحفظوا عاداتهم واستقلوا في حفظ دينهم . ولهم امراء من جنسهم واميرهم منذ بضع سنوات البرنك ( البرنس ) بيد دودا وهو حفيد رجل شهير كان اسمهُ بيب دودا من صناديد قومهِ كان قصد ان يحرّر بلادهُ من سيادة الاتراك لولا انهُ عُوجل بالقتل مسموماً . اما بيد دودا حفيده فاحتالت عليهِ الدولة وسمت باستقدامهِ الى الاستانة ثمَّ نفتهُ الى قسطموني . فكان نفيهُ موجباً لثورة جديدة في البانية . وقد سبق ان عدد الكاثوليك في البانية ١٣٠,٠٠٠ لكنَّ بعض السيّاح قد ضاعفوا هذا العدد حتى ان الرحّالة بوجاد ( Poujade ) الذي سكن بينهم مدَّة قد جعل عدد المردة وحدهم ١٤٧,٠٠٠

ويجاري المردة في بسالتهم الماليسور الذي هم ايضاً من الكاثوليك ولعلهم اكثر عدداً من المردة . وهؤلاء الكاثوليك ولا سيما المردة يحبُّون لفرنسة التجأوا غير مرَّة الى حمايتها منذ القرن السابع عشر والثامن عشر

وكل هذه القبائل النصرانيَّة منها والاسلاميَّة معاً تائقة الا الاستقلال وتطلب وسيلة لتنال مرغوبها

وكان عبد الحميد قد سعى جهدهُ في ان يؤلف قلوب الارنأوط فاتخذ منهم فرقةً لحراسة شخصهِ وخوَّلهم منحاً متعدّدة ورقّاهم الى مناصب رفيعة الَّا انَّ كلَّ هذه الامتيازات لم تُنسهم حرّيَّة جبالهم . فلمَّا حدث الانقلاب الاخير على يد تركيَّة الفتاة كان لقسم من الالبانيين فيهِ حصة مذكورة فلولا انتصارهم للدستوريين في ٢٠ تموز سنة ١٩٠٨ في قوصوه وفريسوفتش لَما تمَّ الامر بسهولة . كذلك لمَّا حاول الارتجاعيون في نيسان سنة ١٩٠٩ بان يضبطوا زمام الحكم ثانية كان سقوط عبد الحميد بفضل عسكر الالبانيين

فهذه الخدم التي ادَّاها جنود البانية للدستور كان من حقهم ان يُجازَوا عليها ببعض الاختصاصات فكان الامر على خلاف ما ظنُّوا فان ارباب الدستور ارادوا ان ينزعوا عنهم امتيازاتهم القديمة وينظموهم في سلك بقيَّة العناصر العثمانيَّة فأحفظتهم هذه المعاملة ونقموا على الدولة ونشروا لواء العصيان في مواطنهم . فارسل وزير الحربيَّة بعثةً عسكريَّة لمحاربتهم تحت قيادة طورغود باشا فساروا الى بلادهم وتشدَّدوا عليهم ونهبوا قراهم وصادروا اهلهم فكانت نتيجة هذه المعاملة ان قام

الالبانيون وتألبوا من كل صوب وأوب وشنوا الغارة على جيوش الدولة وحملوهم خسائر كثيرة وتفاقم الامر حتى صار ذلك داعياً لسقوط الوزارة وجعلوا يترضون الالبان. بل سار جلالة السلطان بعينه الى بلادهم لجبر خاطرهم ومنحهم العفو التام وتبرع عليهم بنحو ٧٠٠,٠٠٠ فرنك تعويضاً عن مالهم المفقود وكفدية عن دمهم المسفوك

على انَّ هذه الهبات والصلات الملكيَّة لم تكن لتشفي غليل الالبانيين انَّهم طلبوا اثبات امتيازاتهم القديمة بل ارادوا زيادة على ذلك ان توضع لالبانية حدود سياسيَّة ممتازة وان تُجعَل لها راية خاصة وان يكون ولاتها وعمَّالها من الالبان فقط وان تعرف لغتهم الالبانيَّة كلغة رسميَّة وان تتعهَّد الدول بتنفيذ هذه الاصلاحات. وقد كتب الالبانيون على اختلاف اديانهم قراراً للعمل بهذه البنود وقام مبعوثوهم في نادي العموم ليطلبوا الاعتراف بها محتجين على سوء معاملة جمعيَّة الاتحاد والترقي لمواطنيهم بعد ان تفانى الالبانيون في صالح تركيَّة. فكان لكلام هؤلاء المندوبين صدى لاستحسان في الوزارة وفي قلوب كل العثمانيين ولم يكن تأثيرهُ قليلاً في حلّ ندوة المبعوثين الاتحاديين. واصحاب الوزارة الجديدة لا يألون جهداً في اخماد لظى الالبانيين والكلّ في انتظار الانتخابات المقبلة ليروا ما سيكون من امرهم. فان هناك مشكلاً عظيماً لا يمكن حلُّهُ الَّا باخطار عظيمة على الدولة فان منحوا الالبانيين مطلوبهم فذلك اشبه باستقلال سوف يطلبهُ غيرهم ايضاً وان رفضوا عليهم طلبتهم اثاروا ذلك العنصر القويّ وعاد الالبانيون الى تهديد ثغور الدولة ولا سيما انهم في جوار الجبل الاسود والصرب والبلغار والمقدونيين وكل هذه العناصر في غليان متواصل اذا فار فائرهم لن يخمد الَّا بعد الجهد الجهيد ووقوع الاهوال وبينما نحن نكتب هذه الاسطر تدوي في آذاننا أنباء الحرب التي سُمع هزيمها في اطراف البلقان والله يعلم ما سيكون من امرها وقد سرَّنا انَّ الالبانيين الكاثوليك عرضوا نفوسهم على الحكومة السنيَّة متطوّعين في خدمتها بل كتب المهاجرون منهم الى اميركة الى جلالة السلطان باستعدادهم للدفاع عن الدولة. لطف الله بعباده ونجّى الوطن العزيز ممَّا يتهدَّدهُ من اسباب الخراب فهو اللطيف الرحيم

# تاريخ حوادث الشام ولبنان

## من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ ( ١٧٨٢ الى ١٨٤١ )

عني بنشره الاب لويس شلهوف اليسوعي (تابع)

ثمَّ انَّ الامير طرد من خدمتهِ منصور الدحداح ولزم بيتهُ وهذا كان معتمد عندهُ وابوه قبلهُ وبيده الحلّ والربط ويقضي مصالح للناس والامير يسمع منهُ

ثمَّ انهُ عند الامير رجل حمصي اسمهُ بطرس كرامه فهذا (كان) شاعراً لبيباً . فمن مدة سنين حضر لدير القمر يتردَّد على الامير فلاحظ منهُ واستقام عندهُ يتسلَّى بهِ فقط . وحينما توجه لمصر اخذه معهُ وكان يساعدهُ بالتدبير مع حنَّا بحري . ومن كونه فهيم كان يقضي (200[٣]) غرض وصار بيت سره وزاد ميلهُ لهُ جداً . وحينما رجع الامير من مصر للجبل تعلق فيهِ بزيادة وقدمه على منصور . وبعده مسك المغلق وصار بيدهِ حل وربط لزم ان الامير ترك منصور كلياً وراح بيتهُ وصار بطرس المذكور يفعل ما يريد . واموره ما هي مقبولة وصار بدهُ يسعد باقرب وقت وانشا امور غير جائزة ولا هي مرضيَّة . وطمع بالامير واولاده وصار عمل ما يراجعوه وجمع مالاً غزيراً وثبت الحكم للامير بكل راحة جملة سنين

ولا بُدَّ حصل حوادث خفيفة بالجبل قد غبي عنا معرفتها لعدم سؤالنا من بُعد المكان . الى انهُ دخلت سنة ١٢٤٨ ( ١٨٣٢ م ) وبهذه السنة عزم والي مصر باخذ بلاد سوريَّا . وحضر ولدهُ ابراهيم باشا بعساكر وافرة الى يافا وملكها وعبدالله باشا تحصن في عكا وحاصرهُ ابرهيم باشا . واخيراً ملكها ومسك عبدالله باشا وارسلهُ الى الاسكندريَّة لعند ابيه . وحاشه أيَّاماً ثم اطلق سبيلهُ وراح لاسلامبول وباقي في برّ الترك الى يومنا هذا

ثم جاء ابرهيم باشا واستولى بلاد الشرق والشمال الى حدود آدنه . والامير بشير كان مطابق مع والي مصر في اخذ هذه الاماكن . وساد في حكم الجبل ويعمل ما يريد وبالمحارفات والمداورات جمع مالاً غزيراً بسبب انشاء مال الفردة الذي دعوها اعانة خيريَّة وزيادات في مال الميري وغير اشياء . وما من يفتش ولا يراجع . وبطرس

كرامة صاحب الشور والتدبير. وهكذا مضت جملة سنين على هذا الحال والناس مقهورة جدًّا. الى انهُ في سنة ١٢٥٥ ( ١٨٣٩ ) انطلب من الامير مال الاعانة والسلاح ورجال ايضاً تروح لمكا للمحافظة. والجبل بحال الضيق والناس افتقرت جدًّا من المخاسر والفلا. وما بقي لهم صبر للاحتمال وكبر عليهم الرهم من امر السلاح وتعيين عسكر منهم لمكا. فهاجوا على حين غفلة في ابتدا سنة الف ومايتين وستة وخمسين ( ١٨٤٠م ) وحصل اتفاق صاغ لا يتغير بين الدروز والنصارى وجميعهم يكونوا برأس واحد وصوت ( 200° ) واحد. وظهروا الجميع ضدّ ابراهيم باشا والامير بشير. واعطوا جواب لا يدفعوا مال ولا سلاح ولا غيره

فارسل ابراهيم باشا عسكر للبقاع فهجموا عليهِ الجبليَّة بغير تميز فقتل جانب منهم ومن النظام. ولكن عسكر الباشا ظفر بهم وجابوا منهم مرابيط لخبسوهم بالشام. ومنهم قتلهم شريف باشا بالشام. واهل الجبل هاجوا جدًّا وكل يوم يزيد الحال اكثر. فخاف الامير من هذا الشرّ وقصد يداور الامور بالنوع الممكن. فصار يلتفت لناحية الدروز ويأملهم ويطمنهم وربما رشاهم بالمال على يد وسايط حتى جلبهم لناحيته وصاروا ضدّ النصارى. وبهذا النوع بردت تلك الحمية التي كانت حاصلة من النصارى في قاطع بكفيا وكسروان وجبيل ووقفت الامور. وحرَّر الامير الى ابراهيم باشا برفع محاربته الجبل وان الاحوال تنتهي على سلامة

وصار الامير يتحارف في كيف يملك المقاطعات. فعمل حيل كثيرة وخداع حتى امكنهُ يحوش بعض اماره من بيت شهاب ومن امراء المتن. فملك سبعة اماره ويتبعهم نحو خمسين نفرًا من خواصهم واتباعهم. والاماره قيَّدهم وارسلهم لمكا ومن هناك ارسلوهم للاسكندريَّة. والباشا هناك ارسلهم لبلاد السودان المضمون قصده بعدمهم لا محال. ومن جرى ذلك حصل وهم عند الاهالي وهديت الامور نوعاً ولكن القلوب شاعلة بنار والامير لازال يسعى بتدبير آخر وكل رغبتهُ يزيح كل متكلم بالجبل من امير وشيخ ويملك الجبل هو واولاده والكيخية بطرس كرامه الذي سلب مقتنى الفلاحين في حركات محرمة شيطانيَّة

كذا انهوا عنهُ ولكن الله لا يريد البغي والجور كما قال الله عن لسان لشعيا

النبي: كل رأي رأيتموه يشتته الله وكل قول قلتموه لا يثبت فيكم. الامير افتكر انهُ يملك الجبل اكيدًا ولكن الله لا يريد

ففي الوقت الذي به عامل جهدهُ في ملك اربهِ واذ تفقد لبيروت مراكب انكليز حربيَّة وشاع الخبر اتفاق اربعة ملوك اوروبا على رفع محمد علي باشا والي مصر من حكم بلاد الشرق والباقي. وحضر ابراهيم باشا من انطاكية واتفق مع الامير بشير واهالي كسروان (201) اظهروا الغرض واتحدوا مع الانكليز الذي جاب عسكر عثملي وطلعوا الى جونية واتفقوا جملةً على محاربة ابراهيم باشا والامير بشير. وصار محاربة في ساحل كسروان وقتل من الجهتين وابراهيم باشا نصب اورديه (معسكره) في عين صنين ومعهُ الامير خليل ابن الامير بشير وغيرهُ مع عسكر من بلاد الشوف. واشتدَّت الامور. وشرح الذى صار وكيف الانكليز ملكوا عكا وبيروت وصيدا وكيف طردوا عسكر ابراهيم باشا وعسكر الامير بشير اهالي الجبل فقد حررنا ذلك باطن كتابنا هذا

انا نقول هنا كيف انتهى حالُ الامير بشير وفروغ املهِ وصدق قول الشاعر « اذا كان يريد الله زوال نعمة عن قوم ففي الابتدا يعدمهم التدبير »

فهذا الامير من حين بداية الشرّ بالجبل صار يظهر شراسة ومقاهرة وقصد قهر الاهالي واطاعتهم بواسطة قوة دولة مصر الذي كان مستغرًا بها جدًّا. ثم وحسن عندهُ يفرق البلاد عن بعضها واخيرًا يدمس الجميع جملة. وقد ملك اربهُ بوقته حيث يكون ذاك الهيج الذي كان حاش الاماوا الذين هم ذوو حركات ويتعبوه فبالحيل والخداع حاشهم ولو يمكنهُ عدمهم ما كان توقف. ولكن حسب حساب ان الدروز المتفقين معهُ ينوهموا من فكّ الرباط الذي مربوط منذ القديم ان الحاكم لا يقدر يدمي في ارباب المقاطعات من تلقا نفسهِ الا باسباب قوية وبطابقة اصحاب المقاطعات على بعضهم والذين متفقين الان مع الامير ليس هم من ذوي القوات المشهورين بل رعايا ومتقدمين. فجاء في فكرهِ يرسل الذين معكهم لمصر وكتب انهم ينفوا لبلاد بعيدة ويبادوا هناك. ومفتكر في عدم ما بقي بالجبل كما هو الملحوظ. فجد هذا الحادث ومع ذلك كان متأمل بقوة دولة مصر يخذل مسعى الانكليز ويصير مداوره.

وذات الانكليز والعثملي من عجزهم يعودوا يتفقوا مع الامير ويحكم الجبل عصاً عنهم . ولو كان ترتفع يد محمد علي من بلاد سوريا

وان قلت ان ظنهُ هذا كان تم بسبب كتابة الانكليز وتأميلهم لهُ ان يترك دولة مصر ويتفق معهم وان يكون حاكماً الى الابد بكل طمأنينة . والحال (201) صحيح صدر هذه الكتابات من الانكليز والعثملي ولكن لو يرضى يسع الامير كان بيان شيء آخر الذي بهِ يتوفر تلك المثالثة والخراب الذي صار في قاطع بكنيا من ابراهيم باشا . ولو ينزل الامير حين طلبوه كان ابراهيم باشا من الوهم ارتفع عن محاربة الجبل . ولكن الامير لا يمكن انهم يحكموه نظير وعدهم لهُ لان الاهالي قلوبهم شاعله بنار ومتهورين والعثملي والانكليز راغبين راحتهم من شكواهم الصحيح من ظلم الامير وبطرس كرامه . ولو انهُ بوقتهِ ما قبل هذا الطلب ونجا من الفخ المنصوب لهُ غير ان الله سامح بالتاكيد في زوال هذا الامير من الحكم وراحة اهل الجبل المظلومين

فمع اشتداد الامور باخذ الساحل وعكا ومحاربة ابراهيم باشا بقوّة وذهابهِ من الجبل للبقاع وطردهم العساكر من كل الجبل جددوا كتابة ثانية الانكليز والعثملي للامير بالطلب ولكن بشرح مقتصر عن الشرح الاول . ويطلبوهُ يحضر يطّلع على مضمون الفرمان السلطاني بشرح ما يخصهُ . فظن ان الاوامر ابلغ من الاوّل . وحيث ان امور ابراهيم باشا ضعفت عن الاوّل والامل بدولة مصر صار فارغ ففكر انهُ ينزل لصيدا وبوصولهِ يحصل على غاية المجد والاعتبار وعزم على المسير حالاً بتدبير بطرس كرامه واخذ اولادهُ الثلاثة لمعرفته عداوة اهل الجبل . ولكن اذا كان يطلع منصوراً فيجيب معهُ عساكر كثيرة عثملي وبعض عساكر جبلي المتفقين معهُ وحينئذٍ يكون مطمأن على اولادهِ اذا كان يقوم عليهم الاهالي في غيبتهِ والى حين ينظم امورهُ

فكل هذا الامل والظنون طلع خايباً . لانهُ بانتزاحهِ من الدير اضطرب اهل الجبل وبلغوا اموراً كثيرة للانكليز . ولكن الامور مقرره بالتفصيل من قبل ايام كثيرة ومنتظرين وقوع الامير عندهم حتى يديروا شغلهم . ولكن احياناً يصدر اشياء من الوهم رعاعة وعجلة بغير معنى . وبالنتيجة حين وصل الامير لعندهم لصيدا

حصل التدبير ببعده عن الجبل . ومن كون صدر منهم الامان ونزل لعندهم برضاه فما سمحوا يهينوه بشيء بل اعرضوا عليه ان كان يرسلوه لاسلامبول ( 2012 ) او لبلاد الافرنج عدا بلاد فرنسا فانهم لا يسمحوا لهُ التوجه لها مطلقاً . فعاد ترّ الراي انهم يرسلوه الى مالطا بالمركب الذى جاء بهِ من صيدا . وصدر الامر باقامتهِ بمالطا بعيداً عن المدينة في مكان منفرد وباقي هناك الى يومنا هذا

والظاهر حين فهم سفره لمالطا احضر سريّته وسريّة ابنهِ قاسم واخذهم معهُ وبقي حريم اولادهِ بالجبل . واما كامل الاولاد واولادهم ( فانهم ) توجهوا مع جدهم . والارزاق التي لهم بالجبل والسرايا التي في بتدين انقام لهم وكلاء بحفظهم وملاحظتهم

ثم انهُ ثبت حكم الجبل بامر سلطاني للامير بشير قاسم وحصل الناس في حرية وارتفعت تلك المظالم والعوايد الردية لا زال يمتنوا لنظامهم والحكم ملاحظهم . واذا كان هذا الحال معهم والامير بشير واولادهُ بعيدين عنهم فتحصل الناس في راحة اذا لا يختلفون في بعضهم كما هي عوايدهم

ولكن الان الذي صار فهو عناية من الله تعالى ومجازاة حسب العمل وربنا لا يترك شيء من الاشياء التي تكون اقتراء وعدواناً . يجازي الانسان على عملهِ . كما جرى بالايام السابقة من اقتراء الامير حسن اخو الامير بشير بقتل جرجس باز واخوه واعمامه اولاد الامير يوسف . ولو كان حصل ذلك بامر الامير بشير لكن بسعي ومطابقة الامير حسن الذي كان تأكد بوقتهِ لولا رداءة حسن المذكور وتدبيره المقرن الذي عمله بجلب طايفة اليزبكيّة بيت عماد وما يتبعهم . واجتهد كثيراً بنليان هذه الطبخة الردية وكان يسعى ليل ونهار وربما اذا كان اخوه الحاكم يداور الامور بابطالها فكان حسن يعطب اخوه كما انهُ قصد ذلك وراح لدير القمر يريد يقتل جرجس باز واذا منعهُ اخيه فتقل اخاه بقدر ما كان ردي ومحب السلطه ونفوذ الامر . والامير بشير اجتهد كثيراً حتى ابطل عزمه وعاهدهُ بقسم في عجنة الطبخة الذي عمالين يطبخوها . وبالنتيجة ان نيّة حسن فهي رديّة جداً وعمله خبيث غير مرضي لله تعالى . وبيان لك بعد قتل الجماعة ليت باز نحو عشرين يوماً حصل لهُ مرض مزمن ردي وصار كمثل شيطان يعذبهُ ليلاً ونهاراً . وبقي عشرة شهور بهذا العذاب والاطباء

عجزوا عن مداواته . اخيراً شاروا عليه بالتقل ( 202* ) لجبيل كون هوائها اوفق من غزير . واستقام في بيت عبد الاحد باز

وحينما اشتدّ عليه المرض وما بقي يمكنهُ يحتمل اعراضهُ فقصد يقتل نفسهُ ليستريح من اوجاعه . فقام من فراشه على حميَّة الى النافذة المطلة على البحر يريد يرمي حالهُ كمثل ما ارمى نفسهُ عبد الاحد باز حينما لحقهُ العسكر ليقتلهُ . وهذا من قساوة الاوجاع والاعراض المؤلمة التي هي امرّ من ضرب السيف . قصد يرمي نفسهُ ويموت قتيلاً نظير عبد الاحد . ولكن الغلمان مسكوهُ بقوة وتألم من مسكهم اياه وكان كمن يضربهُ سيف . لان بعد برهة وجيزة مات وكان جوزي حسب العمل

ثمَّ ان الامير بشير بعد ما ركز حال الحكم بالجبل قدم اهالي الامارا المنفيين اعراض للانكليز في احضار نلسهم من المنفى . وحين بلغ العسكر المصري لمصر وراقت الامور نوعاً توجه من طرف الحكم معتمد خصوصي بامر الى بلاد السودان واحضر الامارا المذكورين واتباعهم الى بيروت . وجاءت الاهالي اخذوهم لمحلاتهم بفرح وسرور . ولكن منهم امير مات بالمنفى من القهر والستة امارا حضروا سالمين . ووجدوا الذين نفوهم منغصين بالطا . المجازاة حسب العمل . وهكذا تنظر اغلب الامور يحصل جزاها من نوعها . واذا وايت ان بعضها لا يجازى بنوعها فلا تعجب لان حكم الله غير مدروك وغاياته لا تقدر تفحصها . بل خاف وكن على حذر من وعيد الله وامتنع عن كل شرّ وافترا .

ثم ان هذا الامير بشير جلس في حكم الجبل في سنة الف ومايتين وثلاثة ( ١٧٨٨ م ) وانتفى في سنة الف ومايتين وستة وخمسين ( ١٨٤٠ م ) كانه حكم ثلاثة وخمسين سنة وهذا ما صار خلافهِ ابداً . ولو انهُ انعزل من الحكم مرتين وثلاثة واكثر ولكن يغيب ايام قليلة ويرجع كما كان . وكان من خواصه يحب السلطة والمال ويرغب جمع المال باي نوع اتفق لهُ . وعلى اي ذنب خفيف وثقيل المقاصرة تكون بسلب القرش ان كان من اماره او مشايخ او اساقفة او رهبان او عوام . وكل على قدر ما يستطيع يأخذ منهُ . وزاد اموال الميري عن المعتاد . وكل مدة يزيد مبلغ ويدعي لكي يرضى الوزير ( 203* ) في عكا ويمنع الضرر عن البلاد . وكلهُ اعذار غير مقبولة . لانهُ يتخذ مالاً لهُ لاجل عمار السرايا في بتدين الذي لشتغل

بها سنين كثيرة بغير فتور . ثم واشترى ارزاق كثيرة واملاك ومن اطالة اقامته بالحكم جمع مالاً غزيراً . ولا يوجد غنياً نظيره بالجبل حتى ولا بيت جنبلاط المشهور غناهم فالامير فاق عليهم . انما كان به خصلة جيدة : اذا كان يستدين من احد مالاً او غير اشياء فيرجعهُ لهُ بالوقت المعين من غير طلب وزيادة قليلاً لعطل المال

ثم لا ننكر حسن ملاحظة الحكم ووجود الامان من التعدي والاختباطات التي كانت تحدث بالسابق من سطوة مشايخ الدروز واختلافهم مع بعضهم وهم جنبلاط وعماد وغيرهم . وحيث ان الامير قتل اغلبهم ومنهم انفاهم فصار يلاحظ الامور واستكن الحال بتلك الدولة المصرية . ولكن انشاء المظالم والطمع بطلب المال المستديم اضعف كل الملايح التي كانت بالامير لانهُ افقر الناس وقهرهم للنهاية . حتى من عدم الاحتمال هاجوا جميعاً بشراسة كلية حتى وصلت الامور لتلاف حال الامير وصار الذي صار

ثم انهُ صدر امر سلطاني برجوع كل ما ضبطهُ الامير من سابق ولاحق من ارزاق واملاك الى مشايخ وامرا وخلافهم فيرجع لاصحابهِ . وايضاً الذي اوهبهُ للناس من مال غيرهِ . فرجع كل شيء لاربابهِ مثل اولاد جنبلاط وبيت عماد وبيت ابو نكد وخلافهم . فالجميع استولوا الذي لهم والامير وكل في بيتهِ ورزقهِ من يثق بهِ . ولكن الوزق خف كثيراً بسبب ( كون ) اغلبهِ مضبوط من مال غيرهِ بالقوة والاقتدار وهكذا جلست الاحوال على هذا المنوال . انتهى

## الباب الثالث [1]

(203) اخبار جزئية ونوادر حصلت بالجبل وبيروت في زمان قريب

— خبر قتل مشايخ يدعون ابو نكد في دير القمر —

انهُ في ابتداء ولاية الامير بشير بعد طرد الامير يوسف ووقوعه عند الجزار في عكا وهي كانت الاخيرة من حياتهِ كان موجود طايفة دروز بدير القمر من سيئة

١) جاء في هذا القسم الثالث بعض حكايات ليس لها علاقة بالتاريخ ولا في اثباتها من فائدة فاغفلناها

بيت جنبلاط وهم مشايخ يسمون ابو نكد وليس هم معدودين من مشايخ العهدة بل تبع غيرهم. فهؤلاء خدموا عند الامير يوسف حينما كان حاكما وجعل نظره عليهم وقدمهم عنده حتى صاروا من خواصه يسمع شورهم وكلامهم نافذ. والامير قصد بذلك لتصغير جنبلاط بنوع خصوصي. لابدّ حصل منهم تعدي ومطاولة لابن جنبلاط وباقي المشايخ

فلما انعزل الامير يوسف ونزح من البلاد ذهبوا معهُ. ومن اطالة الغربة والمرمة (والعذاب) فكّروا يرجعوا لمحلّاتهم بعد استعطاف خاطر الامير عليهم. فقدموا وسايط لاصلاح حالهم. وقيل ان جنبلاط والباقي سعوا باحضارهم وصاروا يداورونهم للنهاية حتى ارموا حالهم بشرّ اعمالهم وحضروا بكل طمأنينة. وثاني يوم وصولهم صار ديوان بالسرايا ولجتمع كامل مشايخ البلاد وكانوا جمعاً غفيرًا ثم حضر الامير بشير للديوان وطلبهم كانوا نحو احد عشر نفرًا وبقي نفرين منهم ما حضروا واولادهم في بيوتهم

فلما دخلوا للديوان قاموا لهم الجميع وكل منهم مسك واحد واجلسهُ بجانبهِ باظهارهم لهم الحب والمودة. وبدأ الامير يعاتبهم ويوبخهم عن افعالهم وهم يعتذرون وطال الخطاب بينهم والامير يداورهم بالكلام. ثم بغتة اشهر حقهُ منهم وشتمهم وصرخ: دونكم هؤلاء الكلاب. فبالحال تنظر ضرب الخناجر في صدورهم من المشايخ فقط كل منهم قتل الذي بجانبهِ. وكانت (204) ساعة مرعبة. وبوقتهِ قام الامير والمشايخ من الديوان الى جهة اخرى وجرّوا القتلى احد عشر نفرًا باهانة وارموهم في بير وهو معروف بدير القمر. وباقي الطايفة هربوا. ومن وقتهِ صغرت هذه الطايفة وما عاد لها اعتبار الى اليوم

فهذه الاية الاولى التي عملها الامير بشير في اول حكمهِ بعد الامان الصادر وهؤلاء ليس هم مشكورين كثير ومحدثين نعمة ولكن هذا الذي صار. انتهى

— نادرة صارت معجبة —

انهُ في قرية تدعى يرمانا فوق انطلياس وهي من قرايا المتن صاحبها الامير بشير درزي وهو من بيت قايدبيه وكان شجيع وصاحب تدبير. وبهذه القرية طايفة دروز يقال لهم بيت منذر مختصين بالامير وخدامينه حين يطلبهم ولهم عليهِ نفع كل

واحد شيء معلوم يدفعهُ لهم . فظهر منهم عصاوة وجفا في حقّ حاكمهم الامير المذكور وزادوا بالرداوة حتى ما عاد امكنهُ يحتملهم

فاخيرًا حفر لهم حفرة شنيعة واباد اغلبهم . وهو انهُ جاب مبلغ بارود ووضعهُ في اسطبل الذي يدعونهُ بالجبل مراح . وفي ضهر هذا المراح بيت متسع وهو منزول لدار الامير لضيف يفاجيه . وكان برقتــه مشمول خاطرهُ ومظهر غضبهُ على الطايفة المذكورة فرتب واسطة تدخل بينها بالصلح . فالواسطــة ( تصرَّف ) بكل دربة وتصنع حتى تمم الوفق واقتضى لذلك انهم يراجعوا الامير . فحضر اغلبهم الى المنزول الذي تحتهُ البارود وعمل لهم وليمة . وهم مجتمعين للغدا انفذ الامير رجل من اتباعه واعطا النار بالراح المذكور فاشتعل البارود بالبيت الاسفل والاعلى وقتل كل من كان موجود . ومنهم طاروا بالجو وما خلص منهم ولا واحد . حتى الذي اعطا النار احترق بجملتهم ومات وقيل انهم نظروا واحد من الطايرين وهو اقوى الطائفة هابط للارض وماسك بيدهِ خنجرهُ كانهُ يريد يضرب به عدوه

وبعد ذلك ما بقي احد من الطايفة حينما سمع ما صار الَّا هرب . وضعف حال هذه الطايفة جدًا وبعد سنين كثيرة حتى ابتــدوا ينموا ومع ذلك لا زالوا للان اضعف من غير طوايف دروز المتن وغيرها

. . . . . .

— نادرة حصلت بالشويفات سجية —

انهُ توفي بالشويفات الامير موسى شهاب وحضر جملة اماره للفرض حسب العادة وقرية الشويفات المذكورة اغلبها دروز وهي مختصة بامارا دروز يسمّوا بيت وسلان يدعوهم اماره الزيت لان رزق هذه القرية اغلبهُ زيتون . وكان لاحد الاماره المذكورين ابنة شريرة اسمها حبوس امراة احدهم . وهذه صايرة خصيصة للشيخ بشير جنبلاط ويحبها بطريق العشق الشيطاني . وصارت في غنــاء وجاه ويمدّوا خاطرها الكبار والصغار لشان الشيخ المذكور . فالان بموت هذا الامير قعدت تعمل فتنة كبيرة وتهيج الدروز على النصارى والشيخ بشير ما يفت عليــهِ ( لا يستكره ) كذا امر ويرغب من كل قلبهِ يبيد النصارى من الجبل ويعدم بيت شهاب المشاع عنهم انهم نصارى

والغاية عمّت بعض دروز وقاموا على غفلة وهم اخذين الميت للقبر صاروا يرجوا بيت شهاب بالحجارة ومنهم يضربوه بالبارود بجارة ملعونة. وكانت ساعة مهولة حيث ما في استعداد من الامارا وما معهم سلاح. وقتلت فرس الامير حسن شهاب وتجرّح رجل (205) وامرأة وقيل انهم ماتوا. وانجرح ايضاً بعض امارا ومنهم توجهوا لدير القمر يعلموا الحاكم ويجيبوا امر بهدم الشويفات وحرقها بالنار مع اهلها. وامرا. بيت رسلان قاسم وعباس هربوا لجبيل وطردوهم فنزلوا لبيروت

ثم ان الامير بشير الحاكم انغمّ جدًّا من هذا الفصل المريع. انما البين ان بشير جنبلاط ترجا جرجس باز يكون واسطة بهذه المادّة وتصدّر لتدبيرها وحضر للشويفات وهمد الشرّ واصلحهم في بعض. ورفع بيت شهاب من القرية ونقلوا لغير جهات وسكنت الامور. وما صار مفشه في شيّ وما احد فهم باطن هذه المادة والذي صادف البهدلة وقصد الدروز يعدموه هو الامير بشير قاسم لانهُ كان قاطن بالشويفات والملعوب كان عليهِ بنوع خصوصي. ومع ذلك انتهت المصلحة على طاوعهِ من القرية المذكورة وترك بيتهُ الذي عمرهُ من مالهِ وقطن في عنطورة مدة طويلة وكان مقهور جدًّا. وبالاخص من حبُوس الشريرة

فانظر ما جرى من انتقام الله على المفترين: انهُ بعد مضي سنين كثيرة على وجوع الامير بشير من مصر ومقاصرتهُ للشيخ بشير جنبلاط من الجملة افتكر في مقاصرة حبُوس الردية. فاوصل عليها حواله بطلب مال من دون تعيين وريس الحواله الامير بشير المذكور اعلاه. فلما نظرت حبُوس ان المذكور حواله عليها ايقنت بالهلاك. واما الامير (فانهُ) ما جناها كما تستحق ولكن هي كبر الوهم عليها بما سلف منها معهُ وبحقه فعزمت على الهرب

ويومئذٍ كانت مقيمة في قرية بشامون قريبة للشويفات والامير متحول هناك. فثالث يوم ذهب الامير للصيد في احدى الجبال القريبة وترك واحد من اتباعهِ مراقب. واما هي فانها اتفقت مع ابنها التي كانت ارسلتهُ لدير القمر بالرجا ورجع خايب مما جميعهُ وربما استشار الشيخ بشير وزاده وهما بتصعيب الامور وان الراي الهرب. فساعة وصول ابنها لعندها بالحال ذهبت من باب ثاني وصارت تمشي بطرقات عسرة غير مسلوكة. واوصل لما ابنها مركوب الى مكان بعيد عن القرية تلاقيهِ لهناك

( 205* ) فالرجل المراقب فكر انهُ يسأل عنها فما وجدها بالبيت فطار عقلهُ . وبالحال ارسل علم للامير فحضر حالاً وصار شلش عظيم وكل من الخدام راح لجهات بالتفتيش والامير ايضاً . فصادفها بمحل منفرد بين الشجر لحال ما نظرتهُ كادت تموت من الخوف فشتمها ورجعها للبيت . فبوصولها وقعت للارض وغمي عليها ثم صحيت فاخذها الخدامين الى محل فوقاني كل ما طلعت درجتين تغمى وتغيق . وحين وصلت الى مقرها غميت الغسو الهلك وماتت . فلما تحقق الامير موتها اعرض للحاكم بجاه الجواب بترتفع . والمرغوب هو هلاكها . واولادها تشتتوا وبعد زمان حتى رجعوا الى محلاتهم . انتهى

. . . . . .

– خبرية عن سكة زغل في قرية بيت شباب بالجبل –

ان بهذه القرية كانوا جماعة يسكوا معاملة زغل وخامر معهم حكام المقاطعة وطال الامر وامتدّت هذه المعاملة بكل بلاد الشلي وترتب لها اناس يحضروا من بلاد شمال مثل أُرفا وخلافها كل سنة ويعملوا بازار مع اصحاب السكة الماية صاغ باربعماية من العملة الملعونة ويصرفوها في بلادهم حكم السر السلطاني . وبالجبل صار العملة غشّ وبعد حين يظهر الغشّ وتخسر الناس

فمن اطالة الأيام انكشف هذا السرّ الخبيث لان الذين فاتحين هذه الكرخانة عيلة كبيرة وتفرقوا الى جهات راغمك احدهم بالشام في سنة ١٢١٤ (١٧٩٩م) وشنقهُ الوزير . مسكهُ بعملته لانهُ اتفق مع واحد نصراني وواحد مسلم واستأجروا قبو في خان سليمان باشا . وكانت السكة ذهب اسلامبول سليمي وفي برهة خمسة شهور صارت معاملة الشام الذهب المذكور . ومن كونه خايس قيراط عن السكة القديمة فكان يصير بلبله وتوقيف ومشاجرات اذا كان يزيد او ينحس قمحة عن القيراط . فصدر مناداة من الوزير عبدالله باشا ان هذا الصنف تقبضهُ الناس من غير وزن . فاصحاب السكة طمعوا وصاروا يجملوه ناقص قيراطين (207* ) واكثر ولكن الذهب عياره جيداً فظهر امره بواسطة المسلم الذي كان يصرف الذهب وكذلك النصراني يرسل الذهب للخارج . فاغمك النصراني واصحاب السكة وقتلهم الوزير مع غيرهم واحواتهم .

وقيل انهم وجدوا في بيت النصراني جراب كبير ممتلي ذهب عجر مفرشخ جمعهُ في ايام قريبة

ثم انهُ في طرابلوس سكوا واحد منهم وشنقهُ مصطفى برير ثم راح منهم واحد لمصر ودخل في خدامة محمد علي باشا في ابتداء حكمهِ حينما كان مجتهد في سكة المصاري واخيراً شنق المذكور بالاسكندرية

ثمَّ ان الامير بشير لاحظ هذا الامر وابطل عملية السكة في بيت شباب وخلافها وارتاحت الناس من هذه الجهة

ثم انهُ في سنة الف ومايتين واربعة وثلاثين ( ١٨١٨ م ) اظهر غضب شديد الامير بشير على بعض اناس من بيت شباب بسبب انهم قتلوا ولد خفية من اقرباهم بقصد يرثوه. وهو وهم من العيلة المغضوبة الذين كانوا يدقوا السكة او شركاهم. فبعد قتل الولد المذكور تجم الشر بين الورثة وحصل تفتيش بليغ بوجود مال ابا الولد المقتول . وظهر لهُ اموال غزيرة عند انقار بالقرية وذلك بامر الحاكم وصار يحول على كل من عندهُ مال للمقتول والذي دخل لخزينة الحاكم مع الكلف والمصاريف من هذه الفتنة انوف من مايتين كيس . والنهاية ختمت في قتل نفرين الذين قتلوا الولد . جابوهم لدير القمر فطلب منهم الحاكم مبلغ مال فعجزوا عن وفاه فخنقهم وتحقق وجود هذه الاموال عند ابا الولد المقتول من السكة الزغل التي كانت تشتغل بالسابق بهذه القرية. وكان هذا الرجل شريك اصحاب السكة. وحيث المال حرام فانتزع من اصحابهِ ومثلما جاء راح

. . . . . .

— خبر الامير يوسف وكيف عمل في اخوتهِ المساوئ —

ان الامير يوسف شهاب في اواخر حكمهِ بالجبل كان لهُ اخوة احدهم اسمهُ الامير سيد احمد والباقي اسمائهم قاسم وافندي ونظن حيدر ايضاً. ولكن الذي مضادد لهُ بامر الحكم سيد احمد ودايماً الامير يوسف مضطرب من نحو اخيهِ المذكور. فاخيراً حسن عندهُ يعمي عيناه حتي يرتاح من غايلتهِ. فعلى حين غفلة والامير احمد مطمأن ارسل جماعة دروز فعموه بكل قساوة

فاخوتهُ تقسموا من هذا الصنيع ولكن لا فايدة لهم. انا الامير افندي البان

كان يتكلّم في حقّ اخيهِ الامير يوسف . وصار المبغضين يوسوسون لهُ عنهُ . فاحضرهُ في وقت وصار يوبخهُ ويحكي معهُ كلاماً قاسياً وبعد حين زجرهُ وقتلهُ . فقتل بغيًا من غير ذنب يوجب ذلك . مع انهُ كان اميرًا عاقلًا محبوباً عند كل من يعرفهُ . حتى ذات اخيهِ فيما بعد ندم على قتلهِ ولكن شيٌ صار

ولكن الله تمجد اسمهُ تمهل باجراء القصاص ولكن ما فات شيٌ . الامير يوسف قتلهُ الجزار في عكا بعد ايام من قتل اخيهِ . واولاده بعد حين اعماهم الامير بشير كما تنظر باطن هذا الكتاب في واقعة جرجس باز واخيهِ . وهكذا القرضة انوفت مع رجها . لان اولاد الامير يوسف هم ثلاثة والذي اعماه ابوهم عمهم وهو واحد . ولكن الانتقام صار مضاعف . والبغي والافترا . والتهوين بعمل الردي لا يحتملهُ الله . وجازانهُ تصير بغير تحديد . انتهى

---

اذ كنّا قد انهينا حوادث الجبل واحكامه كل اوان باوانه مع احكام (209٠) الشام على قدر الامكان بما هو نقلًا صحيحاً ومنهُ ما شاهدناه عياناً والقصد بذلك كي يعلم اصحاب الدراية ومن يريد يطلع على ما حدث في كل زمان وعن تملق ابن ادم بالدنيا ولا يعتبر زوالها وما حدث لغيره قبلهُ من وبالها ويا لهُ من غرور بشيع وامل ردي شنيع . ولكن لا فايدة بالنصيحة ولو آل الامر للفضيحة فالصبر بالله تعالى على سماجة الطبيعة البشرية واستمرارها على العنا والامل الفارغ

وكانت نساخة كتابنا عن خطّ مؤلفهِ في شهر تشرين اول سنة ١٨٤٣ مسيحيّة موافق شهر شوال سنة ١٢٥٩ هجرية ونسألهُ تعالى حسن الختام ويعفي عنا بالتمام . تمّ

( المشرق ) اجابة الى ملتمس كثيرين من القرّاء قد طبعنا هذا الكتاب على حدةٍ لما فيهِ من المعلومات الواسعة عن بلاد الشام وامور لبنان مدّة نحو ستين سنة . وقد اضفنا اليهِ فهارس وملحوظات زيادةً للافادة

ميمر

# لتادرس ابي قرّة

## في وجود الخالق والدين القويم

مُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (نشأة)

نقول حيث اننا اطّلعنا بعقولنا في طبيعة آدم ورأيناه موجودًا قلنا ان كان آدم موجودًا فانَّ مَن صيَّرهُ موجودًا بلا شكّ موجود. ومن وجود آدم ايضاً ابصرنا وجود الله ليس كوجود آدم لانَّ وجود الله يترفّع عن وجود آدم على الخلاف. لانَّ وجود آدم وجود قد كان لهُ بدوٌ وصار لهُ فنـاء. واماً وجود الله على الخلاف لم يكن لهُ بدوٌ ولا يصير لهُ فناء.

كذلك رأينا آدم حيًّا فقلنا ان كان ادم حيًّا عرفنا ان الله حيّ ولكن حياة الله ليست كحياة آدم بالخلاف. لان حيـاة ادم باندة تحتاج لثباتها اولًا الى لبن ثمَّ الى اكل وشرب وهي تَشبُّ قليلًا قليلًا فيصير الانسان مرَّة غلاماً ومرَّة شاباً ومرَّة شيخاً ثمَّ يصير امرهُ الى الهرم والموت والفناء وغير ذلك مما يلحق حياة الناس. فاماً حياة الله فترتفع على الخلاف لانها لم تبـدأ ولا تحتاج ولا تشبُّ ولا تنتقل من حال الى حال ولا تهرم ولا تموت ولا تفنى

وكذلك رأينـا ايضاً آدم عالماً فقلنا ان ( 30 ) كان آدم عالماً فالذي صيَّره عالماً هو بلا شكّ عالمٌ. ومن انَّ آدم عالم عرفنا ان الله عالم ولكن علم الله ليس كعلم آدم بل يرتفع عنهُ بالخلاف. لان علم ادم من حواسهِ استقاهُ او من غيرهِ من الناس تعلَّمهُ ولا يعلم ما وراءهُ ولا ما كان قبلهُ ولا كثيرًا مما بين يديهِ. فاما علم الله فانهُ يرتفع على الخلاف لانهُ لم يستقهِ من حواسهِ ولا تعلَّمهُ من احد ولا يخفى عنهُ شيء مما كان او يكون منذ الازل الى الابد

كذلك على هذه الجهة حيث رأينا حكمة ادم وبصرهُ وسمعهُ وقوَّتهُ وفيض خيرهِ وفضلهُ وبرّهُ وصبرهُ ورحمتهُ وتجاوزهُ وعفوهُ وعدلهُ وجميع فواضلهِ قلنا: ان كان ادم على هذه الفواضل فالذي صيَّره اليها هو بلا شكّ حكيم قويّ بصير سميع

جواد فاضل بارّ صبور رحيم متجاوز عادل . ومن ان آدم هكذا علمنا ان الله هكذا ايضاً ولكنّ الله يرتفع فيها عن آدم بالخلاف على حال مـا وصفنا فوقُ من الوجود والخير والعلم . اذن آدم فيهِ فواضل طبيعة تُشبه الله ومنها تُبصر عقولُنا الله في صفاتهِ . ومن انّنا رأيناها في ادم عرفنا انها في الله وان كانت صفات الله ترتفع بالخلاف على ما ذكرنا

كذلك في آدم فواضل أُخر اكرم يشبه الله فيها على مثل ما يشبههُ في الفواضل التي ذكرنا انّنا نرى الله بعقولنا منها . اعني الولادة والانبثاق والرئاسة . لانّا (31) راينا آدم قد ولد وانبثق منهُ ما يشبههُ في الطبيعة ورأيناه رئيساً على من هو منهُ . فلما كان آدم والداً ورئيساً على من هو منهُ فالذي صيّره والداً ورئيساً فهو والد ورئيس على من يشبههُ بلا محالة ولكن بالارتفاع على الخلاف . لانّ ولادة ادم لابنهِ تمّت بأُنثى وجماع وتربية . وانبثاق حواسهِ ايضاً من عضو من اعضائهِ بالانتقاص من جسدهِ وهو ايضاً اسبق منهـا . ورئاستهُ ايضاً عليهما وان كان طباعهُ طباعهم ولكن ليست توافق اهواؤهم اهواءهُ في كل ما هوى . فاما ولادة الله لابنهِ منهُ وانبثاق روح قدسهِ فعلى الخلاف بالارتفاع ليس بانثى ولا جماع ولا حَمل ولا تربيـة ولا سَبق ولكنها معاً . ورئاستهُ ايضاً على اللذَين منهُ ليست مخالفة بل هما متفقان لهُ في الطبيعة والازلية والمشيئة والهوى ليس بينهم خلاف شيءٌ البتة الّا انّ هذا والدٌ وذاك مولود والآخر منبثق والوالد منهم رئيس

فان انكر احد ان آدم شبه الله وانّ الله شبهُ آدم في الولادة والرئاسة كمثل ما هو شبههُ في سائر فواضلهِ فاننا نجيبهُ انهُ ما ينبغي لهُ ان ينكر ذلك لانـهُ ليس في آدم فضلٌ اكرم ولا ارفع من الولادة . والرئاسة لانهُ لو لم يلد لم يكن لهُ نعيم عيش ولا رئاسةٌ ولا منطق ولا فضل ولا شيء من الفواضل التي نُسبت اليهِ بل صارت نعمة حياتهِ (32) مع الخنازير والحمير وجماعة البهائم التي ليست الرئاسة عليها رئاسةً بل هواناً وحقرةً إذ يُقال لهُ رئيس القرود والخنازير والخنافس والدود . ولكان منطقهُ ايضاً باطلاً لا يحتاجهُ لانهُ لم يكن معهُ من يعقل عنهُ ولا من يجيبهُ . وكذلك جميع فواضلهِ لم تكن تُعدّ فواضل اذ لم يكن معهُ من يشبههُ . فان كانت جميع فواضل آدم التي هي انقص من الولادة بما لا يحصى موجودة في الله وهو شبه الله فيها

ولا يُنكر لله ذلك فالولادة التي هي افضلها هي احقّ ان تكون في الله ولا تُنكر لهُ والّا لَفَضَلَ آدم على الله وصار فيهِ فضلان من افضل الفواضل ليسا هما في الله اعني الولادة والرئاسة وهذا ما لا يقبلهُ العقل الصحيح. فمن المحال اذن ان يكون في آدم فواضل ليست في الله اذ هو من المحال ان لا يكون آدم رئيس من هو مثلهُ ولكن رئيس الخلائق وقد سبق انّ آدم لا يرضى ان يكون رئيس الخلائق ولا احدنا ايضاً يرضى ان يكون رئيس الخنازير والحمير والدبّابات والبق والبراغيث والخنافس والدود. وان كان آدم ونحن لا نرضى بهذا فكيف نصف الله بما لا نرضى بهِ لانفسنا

وان قلنا ان الله رئيس ولكنهُ على الملائكة والناس فهذا ايضاً هوان لأنّ الملائكة والناس ابعد من الله في طبيعتهِ بكثير من بُعد الخنازير والنمل (33) والخنافس عن طبيعتنا لاننا نحن نوافقها في طبيعة الحياة فامّا الملائكة والناس فلا توافق الله في شيء بتّةً والبعد فيما بينهم ابعد من السماء عن الارض بما لا يُحصى. اذن من يصف الله برئاسة ويزعم ان رئاستهُ على الخلائق فقد وصفهُ بالفسخ والهوان وبأمر لم يكن يرضى بهِ لنفسهِ ان يوصف بهِ. امّا اذا وُصف آدم او واحد منّا بالرئاسة على مَنْ هو منهُ او مثلهُ من الناس فلا يرى ذلك هواناً بل فخراً ورفعةً ومجداً والله تبارك وتعالى هو رأس بلا محالة فليس هو رأس الخلائق ولكنهُ رأس من هو مثلهُ فان كان رأس من هو مثلهُ وهو كذلك فقد ولد ابناً وانبثق منهُ روح وهو شبيه آدم وآدم شبههُ في الولادة والرئاسة

اذن ممّا استخرج العقل من شبه طبيعة آدم ثبت القول بانّ الله ثلاثة وجوه والد ومولود ومنبثق وقد تحققت كلمة القائل الذي لا كذب في قوله حيث قال: «خلقَ الله الانسان وعلى شبه الله خلقهُ» هذا كذلك من صفة الله

ويقول ايضاً انهُ كما استطاعت عقولنا ان تستخرج لنا صفات الله التي لا تُبصَر من شبه طبيعتنا كذلك من طبيعتنا نستخرج لنا علم الحلال والحرام والجميل والقبيح والخير والشرّ الذي يصلحنا ويفيدنا والامر الذي نقوى على فعلهِ (34) بهِ. نقول ان كلّامنّا من نفسه يفكر ويعرف الامر القبيح الفاسد الذي يرتكبهُ صاحبهُ. بمنزلة ان كذّبنا أحد وأهانتنا احد وسخر بنا او خدعنا او نفانا او شتمنا او ضربنا او

ظلمنا او ارتكب مكروهاً او قهرنا على شيء من امورنا او ما يشبه ذلك من انفسنا نكره ذلك ونعرف ان هذا امر فاسد قبيح وشرير وحرام. اذن الامر الفاسد القبيح الشرّير الحرام هو ألّا تأتي الى صاحبك ما تكرهُ ان يصنعهُ هو بك من الأذى. والقوّةُ على فعلهِ ألّا تشتهي شيئاً مما يملكهُ صاحبك

نقول: وكل واحد منا من نفسهِ يحب ويعرف الامر الحسن الصالح الخير الحلال. بمنزلة انّ كل واحد منا يحبّ ان يكرمهُ صاحبهُ ويفضّلهُ ويقضي حوائجهُ ويحلم عنهُ ان سفه عليهِ ويعفو عنهُ ان اساء اليهِ ويبذل لهُ المشورة التي هي غاية كل خير. اذن الامر الحسن الصالح الحلال ان تصنع بصاحبك الامر الجيد الجميل الذي تحبُّ ان يصنعهُ بك. والقوة على فعلهِ ان تلقي عنك شهوة الدنيا راساً مما تملكهُ انت وغيرك

هذا وقد اعلمتنا طبيعتنا ان الشرّ والحرام ألّا تصنع بصاحبك ما تكره ان يصنعهُ بك من القبيح فكيف تنال ذلك الخير والحلال؟ تنالهُ بان تصنع بصاحبك ما تحبّ ان يصنعهُ بك من الاحسان. وغاية ذلك كلهُ للحبّ (35) والحبّ بان يؤثر الانسان من يحبهُ على نفسهِ بمنزلة حبّ مالك لابن لهُ وحيد قد وُلد لهُ على كبر سنهِ يريد ان يورثهُ ملكهُ لانهُ قرّة عينهِ وبهجة نفسهِ لا يقدر يضرُّهُ بشيء ولا يحزنهُ بل هو وملكهُ وما يملكهُ فدى لهُ. كذلك الرجل الفاضل الكامل بجميع الناس فانّ الذي يفعل ذلك هو شبيه بالله لان الله تبارك لا يحبّ شيئاً من الدنيا لنفسهِ وليس لاحد عندهُ ضرورة ولا حزن البتة بل يتجاوز عمّن اساء اليهِ ويحلم عمّن يفتري عليهِ ويفيض خيرهُ على من لا يستوجبهُ ويبذل كل شيء في الدنيا لعامّة الناس ويخدم حياتهم بملائكتهِ وسمائهِ وارضهِ وما بينهما من انواع الطبائع جوداً وفضلاً منهُ لا يؤثر الصالح على الطالح ولا الخير على الشرير لكنّ خيرهُ على الكلّ جار بالسويّة اذن غايتهُ هو الله في إنهائهِ عن عمل السوء والشرّ وفي امرهِ بان يصنع الخير وان يصير الانسان فيما بينهُ وبين الناس في كمال الخير على شبه الله وهذا مما علمتنا طبيعتنا الحلال والحرام في الدنيا كذلك تعلمت منها ما الثواب والعقاب في الآخرة

نقول انّ عقولنا تعرف ما نعمة طبيعتنا وما شقاؤها في الدنيا وبنعمة كيانها في الدنيا وشقائها بها نستدلُّ على نعيمها وشقائها في الآخرة. من اجل ذلك قبل ان نصف تلك ينبغي لنا نصف هذه ثمّ نستدلُّ بها على تلك فنقول: ان حياة كل مخلوق

لا تثبت لهُ في الدنيا الّا من شيْ سواه يمدّهـا بهِ من خارج منهُ لقوامها بمنزلة أنَّ حياة الانسان لا تدوم لهُ ولا تثبت ان لم يمدَّها باكل وشرب واستنشاق الهواء من خارج منهُ وما يشبههُ ذلك لان لا شيْ يعيش من نفسهِ بلا حاجة الى شيْ من غيرهِ تقوم بهِ حياتهُ الّا الله وحدهُ قائماً ما سواه من الاحياء فمن غيرهم تثبت لهم الحياة على ما قد اعلمنا

ونقول ان كل حيّ من المخلوقين قد صيَّره الله فيهِ شهوة الامر الـذي تقوم وتثبت بهِ حياته والحركة اليهِ والطلب له فصيَّر معادن وقد هيَّأها له ليستفيد منها فاذا نالها نعم واذا لم ينلها شقي بمنزلة ان الامر الذي تقوم بهِ حياة طبيعتنا تمتدّ اليهِ شهواتها كأكل الطعام وشرب الماء واستنشاق الهواء ولباس الثياب التي تدفع البرد وسكنى البيوت التي فيها نسكنّ ونستتر من الشمس والامطار والثلوج والجليد وغير ذلك مما يشبهه ومما تحتاجه طبيعة حياتنا وايضاً المعادن التي تتحرّك اليها شهواتنا اذ تنال بها هذه الاشياء اذا احتاجت اليها فهي بمنزلة الارض التي تنبت لنا طعاماً والعيون التي تخرج لنا شراباً والهواء المنتشر لاستنشاقنـا والاغنام لاخراج الصوف والارض للقطن والكتّان لكسوتنا والجبال والغياض والحجارة والخشب لبناء منازلنا وغير ذلك مما نحتاج اليهِ (37) من المعادن التي اذا تناولت شهواتنا منهـا قوام حياتنا نعمتْ واذا عدمت ذلك ولم تتناوله شقيتْ . بمنزلة انَّ رجلاً يسير في قفر ويدركه الحرّ والسموم فيعطش ويلتمس الماء ولا يجدهُ فيحترق جوفه ويبس لسانه ويشقى الشقاء الذي لا اشدّ منه وان تهيَّأ له الماء البارد فتناوله برد جوفه ورطب لسانه ولذَّ بهِ واستراح اليهِ ونعم النعمة التي لا وراءها شيْ وكذلك في الجوع وفي غير ذلك من حوائج طبيعتنا . اذن نعمة الانسان في الدنيا الوجود والتناول للاشياء من معادنها التي هيَّأها الله له لقوام حياتهِ وغرس فيهِ شهواتها وشقاءه عوزها ان عدمها . هكذا على مـا تعلمتْ عقولنا مما غرس الله في طبيعتنا من الشهوات التي تحرّك الى حالتها التي تقوم بها حياتنا وهيَّأها معادن تنال ذلك منها التي اذا نالتها نعمت وان لم تنلها شقيت علمتْ عقولنا ان في طبيعتنا شهوات اخر مغروسة ليست من الدنيا هي ايضاً كمال النعمة وغاية المنية ولها معادن قد هيأهـا الله بها لتناولها لتنعم بها التي اذا نالتها نعمت وان لم تنلها شقيت وهي هذه :

ونقول ان كل واحد منا يشتهي ان يعيش الى الابد ولا يموت وان يصير بدنهُ الى حالة لا تنالهُ عاهة ولا ضرورة ولا تغيير ولا فساد بمنزلة انهُ اذا أُلقي في النار لا يحترق (38) او في ماء لا يغرق او وقعت عليهِ صخرة لا تفدغه او ضُرب بسيف لا يجرحه او لُسع من حيّة لا تضرّهُ او غير ذلك من المصائب والعاهات التي تضرّهُ في هذه الدنيا . وايضاً يشتهي اذا مدَّ بصرهُ الى مدينة من المدائن او بلد من البلدان ان يبصرهُ بما فيهِ ولا يحجز بين بصرهِ وبين ما اراد بُعدٌ ولا جبل ولا حائط ولا بيت ولا سترة ولا يخفى عنه منه خافية . وايضاً ان يعلم العلم كلَّهُ اعني علم كل الخير والشر والحلال والحرام وغير ذلك من العلم على صوابهِ بلا خطأ . ويشتهي ان يقوى على دفع كل شرّ ولا يضعف عن عمل خير وبرّ وصلاح وان يكون له غنىً لا ينفد ليفيض بهِ على جميع الناس . ويشتهي ان يكون رحيماً حليماً عفيفاً طيباً عادلاً وغاية كل فضل فيحب كلًّا ويحبُّ كل ويصير في حياتهِ في نعمة لا زوال لها ولا يعتهُ فيها تقصير وغير ذلك مما يشبهه

ونقول انَّ معدن هذه الشهوات التي ذكرنا هو الله تبارك وتعالى بعينهِ لانه حي ولا يموت ولا يتغيَّر ولا يفسد ولا تصيبه عاهة الذي يبصر كلًّا ولا يخفى عنه خافية مما كان او يكون ويعلم العلم كلَّه من علم الخير والشرّ والحلال والحرام ويقوى على دفع الشرّ وعمل الخير بكمالهِ ذو غنىً لا ينفد غناه ويجود بهِ على كل وهو حليم رحيم طيب عفيف عادل يحب كلًّا وكلٌّ يحبه وهو في حياة نعيمهِ لا يزول عنه

فاذ قد عرفنا هذه الشهوات الفائقة المغروسة فينا وعرفنا معدنها ينبغي ان نعلم انه كما غرس الله فينا شهوات الدنيا وهيَّأها معادن ننال منها وننعم ولم يتعنا اياها لئلَّا نشقى لانه لم يكن يشبهه ذلك بل جاء لنا بها التنعم قوام حياتنا بها على ما يشبهه . كذلك نعلم انه اذا غرس فينا هذه الشهوات الفائقة وهو معدنها تبارك وتعالى انه لا يتعنا نفسه لئلَّا يشقينا لانه لا يشبهه ذلك بل يجود لنا بنفسهِ لنساكنهُ ونلامسه وننال لذَّتهُ ونعمته لهذه الشهوة التي تتوق انفسنا اليها التي هي غاية كل نعمة وكمال كل منية فنصير بهِ آلهة ننعم بهِ الى الابد

اذن غاية نعيم طبيعتنا ان نصير آلهة وننعم بالله ولسنا نقول اننا نتغير عن

طبيعتنا الانسية فنصير في الطبيعة آلهة لان هذا محال ولا يستقيم ان يكون مخلوقٌ غيرَ مخلوق ولكننا نبقى على ما نحن فيهِ من طبيعتنا الانسية ونشمل طبيعة الله ونصير بها آلهة من غير تغيير بمنزلة حديدةٍ تُدخَل النار فتحمى وتخرجها منها وقد صارت ناراً ولم تتغير عن طبيعتها بل هي حديدة مشتملة بنار تعمل عمل طبيعة النار لانها تحرق وتضيء وتسخن. كذلك الله تبارك وتعالى يشمل طبيعتنا ويخالطها من غير تغيير ولذلك تستفيد من ملامستهِ الحياة الدائمة بلا موت ولا تغيير ولا فساد ولا عامة من فواضلهِ جميعاً التي ذكرنا انه قد حبى فينا شهواتها

هذه فواضل الله الذي كنا ذكرناها (40) فوقَ حينَ كنا نقيسها بفواضل طبيعة آدم وترفُّع الله فيها على آدم بالخلاف حيث وصفنا ان آدم موجود لكنهُ غير باقٍ وقلنا ان الله موجود. لكن يترفَّع عن الذي لآدم على الخلاف لانهُ باقٍ غير فانٍ. فهذا الفضل وجميع فواضلهِ التي كان يرتفع بها عن طبيعة آدم على الخلاف هي التي غرس الله شهواتها فينا لان من رأيهِ ان يجود بها علينا وينتهم طبيعتنا فيها الى الابد على ما ذكرنا وهذه هي النعمة التي علَّمتنا طبيعتنا ان تنعيمها ليس وراءه شيء

ونقول كما ان ذلك العطشان الذي وصفنا فوق حيث وجد ماء باردًا وشربهُ نَعِم بهِ وحيث اعوزهُ شقي كذلك تنعم طبيعتنا بالله ولكن ليس وجود نعمة الله ووجود شرب الماء سواء ولا شقاء عوز وجود النعمة وعوز الماء سواء بل شرف وعار نعمة الله على الماء كشرف الانسان وعلوهِ على الماء. كذلك شدة شقاء عوزهِ اعظم من شدة شقاء عوز الماء. هذه النعمة ثواب الله لأحبَّائهِ وهذا الشقاء عقاب لمخالفيهِ على ما علَّمتنا طبيعتنا

فالان اذ عرفنا ذلك ينبغي لنا ان نصنع مثلما صنع ذلك الطبيب الحكيم ان نقدِّم جميع الاديان التي لقينا فننظر في قول كل واحد منهم فيما يصف الله وفيما يصف ايضاً من رأيهِ الحلالَ والحرام والثواب والعقاب فالذي نجدهُ موافقاً لما علَّمتنا طبيعتنا من ذلك علمنا بيقين انهُ الحقّ الذي جاء من عند الله والذي يجب ان يُعبَد بهِ وحدهُ ولا بغيرهِ فنقبلهُ ونتخذهُ ونقنع عليهِ (41) ونعبد الله بهِ ونرمح غيرهُ ونبعدهُ ونبغضهُ

فقد نظرنا في ذلك فلم نجد فيها من وصف الذي نعرف الّا الانجيل وذلك

انه وصف الله على ما علمنا ثلاثة وجوه آب وابن وروح قدس في قول المسيح لتلاميذه في اخر انجيل متى حيث قال: «كما بعثني ابي فقد بعثتكم اخرجوا الى الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم ان يفعلوا كلّ ما اوصيتكم به وها انا معكم الى آخر الدهر امين». هذا ما علّمتنا طبيعتنا من شبهها بالله سواء. فامّا غير الانجيل من الاديان فلم يهتدِ واحد منهم الى شيء من ذلك ولكن وصفوا آلهتهم على ما استحسنت عقولهم الانسيّة الارضيّة. فمنهم من كان قال ان اللاهوت كواكب. ومنهم من قال ان الله يحبّ اثنين احدهما الشيطان والآخر هرمزد الناكح لامه. واخرون قالوا انهُ وجهٌ واحد فرد. واخرون قالوا انهما الاهان في طبيعتين مختلفتين خيّرًا وشرّيرًا والخيّر الله والشرّير الشيطان. واخرون قالوا ثلاثة واحد عادل وآخر طيب وآخر شيطان شرير. وآخرون قالوا خمسة آلهة اربعة منها غير عقليّة والخامس عاقل. واخرون قالوا واحد صمد لم يلد ولم يولد. هكذا وصف هؤلاء الله ولكنهم لم يصيبوا صفتهُ

نقول ان صفاتهم من الارض وليست من الله وصفة الانجيل وحدهُ من عند الله وذلك لانه انانا بما علّمتنا بهِ طبيعتنا من شبهها بالله على ما وصفنا من فوق. كذلك ايضاً وصف الانجيل ان المسيح امر تلاميذهُ من عمل (42) الحلال وترك الحرام وعمل الخير واجتناب الشر وكمال الصلاح على ما علمتنا بهِ طبيعتنا ايضاً من اجتناب الشرّ وعمل الخير. انظروا الامر الذي تكرهونه ان يصنعه الناس بكم فلا تصنعوهُ بهم انتم والامر الذي تحبّون ان يصنعه الناس بكم فاصنعوه بهم

وعلّم الانجيل كيف يقوى الانسان على اجتناب الشرّ وكمال الصلاح فوصف ذلك في اربعة اوجه: الاول منها ترك ما في الدنيا والزهد فيها. والثاني الحبّ لله والايثار له عليها. والثالث الحب للناس ايضاً والايثار لهم. الرابع ترك القصاص والاخذ بالعفو والمكافأة بالخير بدل الشرّ والتشبّه بالله. وهذا كما قال المسيح: «بع كل ما تملكه وأعطهِ للمساكين فيصير لك كنز في السماء. وخذ صليبك واتبعني». وايضاً: «لا تتخذ في الدنيا خبزًا ليومين ولا ثوبين ولا مخلاة ولا نحاساً في منطقتك». وفي حبه والايثار له على الدنيا قال: «من احبّ من الدنيا اباً او امًّا او امرأة او ولداً او قرابةً او مالاً افضل مني فليس هو لي باهل». وفي الحبّ لبعضنا بعضاً قال: «وصيّة جديدة

اوصيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً وبهذا يعرف الناس انكم تلاميذي اذا احببتم بعضكم بعضاً وهذا الحبّ ان يؤثر الانسان من يحبه على نفسه مثلما احببتكم انا وفديتكم بنفسي » . وفي العفو والمكافأة بالخير والتشبه بالله قال: « قد قيل للاوّلين عين بعين وسنّ بسنّ ولكني انا اقول لكم لا تكافئوا الشرّ بالشرّ بل من (43) ضربك على خدّك الايمن فحوّل له الايسر ومن اخذ ثوبك فزده كساءك ومن سخّرك ميلًا فتسخّر له ميلين ومن استوهبك فهبه ومن استقرضك فلا تمنعه . ولا تبغض عدوك ولكن أحبّهُ وبارك من لعنك وأحسن الى من يقصيك وصلّ على من قهرك وعنفك لكيما تصير ولد ابيك الذي في السماء الذي يطلع شمسهُ على الاخيار والاشرار والصالح والطالح »

اذن بكمال الصلاح الذي علّمتنا طبيعتنا قد امرنا الانجيل وفي هذا النصّ لان من رضي للناس بما يرضى لنفسه والقى حب الدنيا من نفسه وزهد فيها وآثر حبّ الله عليها وعلى نفسه وترك القصاص وعفا وكافأ الشرّ بالخير واحب عدوه تشبّه بالله الذي هو غاية كل خير وفضل وصار لهُ ولدًا فهو العالي من الناس وهو الذي نفى عن الطبيعة امراضها وصيرها في منتهى صحتها . وبهذه الصحة ايضاً علّمتنا طبيعتنا

وفي هذا النوع الثاني لم نرَ احدًا من اصحاب تلك الاديان عرفها ولا امر بها ولكن على الخلاف انهم رخّصوا لاصحابهم اتخاذ الدنيا وفرشوا لهم شهواتها والتشفّي في لذّاتها بامر قد تقلوا فيه الطبيعة وامرضوها به وحالوا بينها وبين حب البارئ وبين بعضهم بعضاً . ولم يامروا ايضاً بشيء من الفضل ولكن باخذ القصاص والانتقام كالسباع . لانهم لم يرضوا بالقصاص ولكن بالزيادة عليه وهم يشتمون ولا يقبلون الشتم وان شُتموا ضربوا وان ضُربوا قتلوا ولا يقتصرون على هذا ( 44 ) ايضاً ولكنهم ياخذون سيوفهم ويخرجون الى من لم يؤذهم فيقتلونهُ ويستبيحونهُ

وهذا رأي جميع الاديان والعجب منهم انهم يزعمون ان الله امرهم بهِ وان كان هذا فساد الطبيعة كما انهُ فسادها والله تبارك وتعالى لا يحب فسادها بل صلاحها لانه امر ان يُبعَد بينها وبينه فاماً ما يوردها جهنم فلم يأمر بهِ ولا بفساد الطبيعة وبالامر الذي يحول بينها وبين الله . فمن زعم اذن ان انفساد الطبيعة هو من عند الله

فقد اخطأ بقوله انهُ جاء من عند الله وكل من اتى بصلاحها وصحتها وبالامر الذي يقربها به الى الله فهو من عند الله. فالانجيل الطاهر اذن الذي اتى بذلك هو وحدهُ جاء من عند الله لا محالة

وكذلك في امر الثواب والعقاب نقول ان الامر الذي علّمتنا طبيعتنا وعدّ بهِ ايضاً المسيح في الانجيل الصالحين والطالحين اعني الصالحين سكنى اللاهوت والكينونة معه فيهِ واحداً في الحياة الدائمة التي لا يزول نعيمها والطالحين العزلة عنها في جهنم الى الابد وهذا قول المسيح في الانجيل لتلاميذه في ذلك: « ان من يحبني يحفظ وصاياي والاب يحبه وانا والاب نأتيه وسكنانا معه يصير ». وايضاً: « ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وانا اسأل الاب ان يعطيكم معزّياً اخر يكون معكم الى الابد روح الحقّ الذي لم يُرَ في الدنيا ولم يعرفه احد ولم يقدر يقبله. فاما انتم فتعرفونه لانه معكم يسكن وفيكم هو ». اذن الذي يحفظ وصايا ( 45 ) المسيح فهو مسكن الآب والابن والروح القدس الى الابد والمحبوب منهم. وحيث اراد المسيح يعلّمهم ان ذلك ليس في الارض يكون فقط ولكن في السماء ايضاً قال: « الاب يحبكم لانكم احببتموني وآمنتم اني من عند الآب خرجت وجئت الى الدنيا وانا اترك الدنيا وارجع الى الآب. ثمّ آمنوا بالله وبي فآمنوا. ما اكثر منازل بيت ابي ولولا ذلك لقلت لكم اني انا انطلقت لاهيئ لكم المنازل ». وقال ايضاً: « أرجع واضمّكم اليَّ لكيما تكونوا حيث اكون »

اذن من السماء من عند الاب جاء المسيح الى الدنيا والى الاب الى السماء عاد وهو مهيئ للمؤمنين بهِ في السماء عند ابيه المنازل ليكونوا معه حيث يكون. ومعروف ان ذلك عند الآب وفيه ايضاً لان المسيح كان منطلقاً الى ابيه في السماء ومخلفهم في الدنيا يطلب الى ابيه فيهم ليحفظهم حتى يجيئ الحين الذي يضمّهم فيه معه ومع ابيه واحداً. ويقول هكذا: « يا ابتاه قد اوتيتني وعرفوني بحق اني من عندك خرجتُ وآمنوا انك انت بعثتني والآن فانا اسألك من اجلهم وليس من اجل اهل الدنيا اسألك ولكن من اجل الذين اعطيتني الذين كانوا لك لان كل شيء لي فهو لك وكل شيء لك فهو لي وانا فيهم ممجّد ومن الآن لست في الدنيا وهؤلاء في الدنيا يبقون وانا اليك اجيء. يا ابتاه القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتني لكيما يكونوا واحداً

كما نحن ( 46 ) واحد. حيث كنت معهم في الدنيا انا كنت احفظهم باسمك والذين اعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم احد الّا ابن الهلاك. يا ابتاه ليس عن هؤلاء اسالك فقط ولكن عن الذين يؤمنون بي بكلامهم لكيما يكونوا اجمعين واحدًا كما انك يا ابتاه فيَّ وانا فيك ان يكونوا هم فينا واحدًا ليصدّق العالم انك بعثتني وان المجد الذي اعطيتني فقد اعطيتُهم اياه ليكونوا واحدًا كما نحن واحد. انا فيهم وانت فيَّ لكيما نكون اجمعين تامّين كواحد ليعلم العالم انك انت الذي بعثتني واني احببتهم كما احببتني. يا ابتاه انا احبّ ان يكونوا معي حيث اكون لينظروا الى مجدي الذي اعطيتني واحببتني قبل ان تنشئ العالم ٭

اذن المسيح ايضاً من عند الاب جاء الى الدنيا واليه عاد وهو في ابيه وابوه فيه وهو فيهم وابوه ايضاً فيهم. وايضاً كذا صيَّرهم حيث يكون وهو كما قال في ابيه ومعهُ واحد. اذن من قول المسيح في الانجيل مسكن الصالحين هو الاب والابن والروح القدس في السماء. ومسكن الابن والروح القدس ايضاً في الصالحين ومسكن الصالحين في الله فهم واحد معهُ في الحياة الدائمة بلا موت ولا فناء. ومثلهُ على ما قال الانجيل ايضاً: ٭ ان الله الاب يحبّ ابنهُ وكل شيء قد سلّمهُ اليه. فمن آمن بالابن ( 47 ) فلهُ الحياة الدائمة ومن لا يخضع للابن فلا يرى الحياة ولكن غضب الله يحلّ به ٭. وايضاً قال يوحنّا البشير انه ٭ حتى الان لم نكن نعرف لاي شيء خلقنا فمن الآن قد عرفنا اننا نبصر الله كما هو ونصير مثله ٭

اذن ما علّمتنا طبيعتنا انها تشتهي الله وتتوق الى ان تبصرهُ وتسكنه وتصير مثله الاهاً في حياتهِ الدائمة ونعيمه الذي لا يزول هو علمُ الانجيل ووعدهُ. فمن هذا عرفنا ايضاً انه من قِبَل الله بحق لانهُ لم يخلقنا الّا لذلك لينعمنا بنفسه مع ملائكته القديسين وليس لينعمنا في الاكل والشرب والفساد للنساء. لانَّ هذه نعمة قد اعطاها للحمير والخنازير وغير ذلك من الدواب على ما قال الانجيل المقدس ان المسيح اجاب الذين سألوه عن التزويج في الآخرة فقال لهم: ٭ انكم قد ضللتم اذ تقرأون الكتب ولم تعرفوا قوّة الله انما يتزوج الرجال النساء والنساء يصرنَ للرجال في هذه الدنيا واما في الآخرة فلا الرجال يتزوجون النساء ولا النساء يتخذن الرجال ولكنهم كمثل ملائكة الله ٭ يقومون اجمعين ويصيرون اولاد الله لانهم صاروا اولاد

القيامة والهةً معهُ في الحياة الدائمة ليس في الطبيعة ولكن في شركة الحياة على ما كنّا ضربنا عليهِ فوق مثَلَ الحديدة التي صارت نارًا من غير ان تكون اهلكت طبيعتها وتحوّلت عنها وهذا امر لا يخطر ( 48 ) على بال احد من اصحاب بقيّة الاديان ولم يطلع على فكرهم البتّة لانَّ فكرهم كلهُ في الارض في الاكل والشرب والسفاح ونعيم الجسد لا يعرفون غيرهُ ولا تتوق انفسهم الى سواه كالدواب التي ليس لها همة غيره

اذن الانجيل دين الله الحقّ الذي يجب ان يُعبد بهِ على صفة الثلاثة الانواع التي كنّا ذكرنا انَّ طبيعتنا علّمتنا اياها اعني ان الله آب وابن وروح قدس. وفي الحلال والحرام ان نرضى لغيرنا ما نرضى لانفسنا من ترك الشرّ وعمل الخير والثبات في المودة الصالحة والتشبه بالله. وفي الثواب والعقاب ان يبصر الصالح الله ويباكنهُ ويشاركهُ في نعيم حياتهِ ويصير مثلهُ الاهاً الى الابد من غير ان تتغير طبيعتهُ. فامّا الطالحون الذين لم يؤمنوا بالمسيح فيُبعَدون عنه ويصيرون في عزلة عن حياتهِ في شقاء الى الابد. ولذلك نؤمن بهذا الدين ونتخذهُ ونتمسك بهِ ونعيش بهِ ونصبر على البلايا في الدنيا من اجلهِ للرجاء الذي وعد وثبوت على ذلك ونؤمل اننا نلقى وجه الله عليهِ ونرمح ما سواه ونبعدهُ ونقصيه ولا نعدُّهُ شيئاً

فان قال قائل انك حيث لم تقبل ديناً الّا الذي اتى بهِ الانجيل لما ذكرت من تمام ما فيهِ من صفة الله والحلال والحرام والثواب والعقاب الامر الذي زعمت انَّ الطبيعة علّمتك اياه وامنت ليس من الله غيرهُ ( 49 ) ونزّهت الله ورفعته من ان يكون بعث الى الناس شيئاً وصفتهُ الاديان الاخر لحال خطاياها ونقصانها فقد انكرت ان يكون موسى النبي مبعوثاً وجعلت ما جاء بهِ خطأً ونقصاناً لانهُ لم يأتِ بما اتى به الانجيل بالخلاف والنقصان الكثير فموسى اذن ليس عندك من الله بُعث

فانّا نجيب هذا القائل ان قصدنا من كتابنا هذا ان نثبت ديننا من العقل وليس من الكتب ونقول انه من قبَل تثبيت العقل لم يكن عندنا موسى مقبولًا انه من عند الله ولا ما جاء بهِ غيرهُ وذلك لما اتوا بهِ من النقصان والخلاف لما علّمتنا طبيعتنا فلسنا نقبل من وجه العقل ديناً الّا الانجيل وحده لما ذكرنا من التمام والصواب الذي اتى بهِ. فامّا من وجه آخر فانا نقبل موسى والانبياء وعدهم انهم من الله وذلك حيث

عرفنا ان الانجيل من الله وقبلناه وصدقنا جميع ما فيه والانجيل يخبرنا ان موسى والانبياء المسنين في العتيقة بُعثوا من الله فصدقناه وقبلناهم. وكذلك حيث سألنا الانجيل: ولاي سببٍ بعث الله موسى بهذا النقصان اذ لم يظهر في صفة اللاهوت الّا الاب وحده ولم يدعُ الّا اليه. وايضاً لاي حال لم يأت بالامر الكامل من الحلال والحرام ولم رخص اشياء كثيرة ولم يذكر الثواب الكامل الذي من اجله خُلق الانسان ولا العقاب. فاخبرنا الانجيل انهُ لضعف ( 50 ) القوم كان ذلك. امّا في صفة امر اللاهوت لان القوم كانوا يعبدون الشياطين واوثاناً لا تحصى فامرهم موسى قائلاً: « دعوا عنكم كثرة الآلهة التي لا تحصى واعبدوا الله وحدهُ » رجاء انهم اذا تركوا آلهتهم وعبدوا الله كشف الله ابنهُ وروحهُ في الحين الذي ينبغي ان يعبدوه على التمام ومن اجل ذلك امر بكشفه لهم اذ ذلك الآب وحدهُ. وايضاً في امر الحلال والحرام مثل ذلك كان القوم في اعمال الاثم في القتل والنهب والزنا والسرقة وشهادة الزور وغير ذلك من انواع الشرّ فلم يقووا على ان يتركوا الشرّ ويميلوا الى الخير برّة ومن اجل ذلك وضع لهم ناموساً في ترك الشرّ ورخّص لهم في اشياء كثيرة وترك لهم عمل الخير حتى يجيء حينهُ. وايضاً في امر الثواب والعقاب لم يقدر القوم ان يخرجوا من نعيم الدنيا رأساً ويقيموا على خير وجاء الله كي يأخذوا ثوابهُ بعد الموت لان قلوبهم كانت منغمسة في شهوات الدنيا لا يعرفون غيرها ولا يلتمسون الّا الامر العاجل فاعطاهم ارض فلسطين الامر الذي كانوا يؤملونهُ ويعلم انهُ يجذبهم اليه به

بهذا اخبرنا الانجيل وصدقناه في كل ما اعلمنا من امر موسى انهُ من الله بُعث وانَّ ما جاء به مع وجوه النقصان من الله ولولا الانجيل لم نصدّق موسى انهُ من الله ولكنا من قبل الفكر كنّا نزعهُ اشدّ الزمع. كذلك صدّقنا الانبيا انهم من عند الله من قبل الانجيل وليس من العقل لاننا حيث اخبرنا المسيح انهم انبياء صدقناهم وحيث عرفنا جميع تدبير المسيح وقرأنا في كتبهم فوجدناهم قد كانوا سبقوا فوصفوا جميع تدبيره على ما فعلهُ صدقناهم ايضاً انهم انبياء. فنحن الآن ليس من قبل كتب الانبياء نصدق بالمسيح وبامورهِ ولكن من قبل قول المسيح انهم انبياء ومن قِبَل اننا رأينا تدبيرهُ مكتوباً في كتبهم صدقناهم

فنحن على هذا فضّلنا امور الاديان وعرفنا منها مـا هو من الله وما ليس من الله من علم الطبيعة

نخبر ايضاً من وجه آخر استدلّت بهِ عقولنا ان دين النصرانيّة من عند الله وذلك ان الامم بقوة الله انقادت الى تلاميذ المسيح وقبلت هذا الدين منهم وليس بقوّة الناس ولا قهرهم ولا حيلهم ولا مطامعهم كغيرهِ من الاديان. لان الوجوه التي تنقاد الناس فيها بعضهم الى بعض في الدنيـا على ما يرى العقل كثيرة. فربّما انقاد الناس الى رجل شريف لشرفهِ والى رجل غني لعطيتهِ او ايضاً الى سلطان وهذا انقياد الناس اليهِ لوجوه شتّى منهم لان السلطان يقهرهُ ومنهم لانهُ يتقي شرّهُ ومنهم لانهُ يوجو الاصابة بازومهِ (52) ومنهم لانهُ يعتزُّ بهِ. وايضاً ربما انقادوا الى حُكم حكيم لحكمتهِ وايضاً الى من يغرّشهم شهواتهم ويوسعهم اهواءهم والميل الى ما يُنعمون بهِ طبيعتهم. وايضاً ربما انقادوا الى تعليم الله الذي يستحسنهُ والى غير هذه الوجوه التي ذكرنا ما يشبهها

ونقول انهُ ان خرج رجل يدعو الى الله على مثل هـذه الحالات سيما ان كان رجلاً شريفاً ملكاً يقهر الناس بالسيف ويبذل لهم العطايا والعزّ والشرف في الدنيا ويغرشهم شهواتها ونعيمها ويأتيهم من صفات الله ما هو سهل تمّا تستحسنهُ عقول العامّة ولعلّها من الصفات التي قد سبقهُ اليها غيرهُ قبلهُ وعرفتهـا العامة فليس بعجب إن انقادت لهُ الناس واتبعتهُ عليهِ وليس لهُ مع هذا حجّة مقبولة ان اراد ان يثبت لهُ دينهُ انهُ من عند الله لاتباع الناس اياه على مثل هذه الوجوه لانهُ لم يزل هذا ومثلهُ يكون في الدنيا من قديم الدهور وحديثها

والشاهد على ما ذكرنا دانيـال النبي قال ان نبوخذنصّر ملك بابل صنع الاهاً من ذهب اي صنماً طولهُ ستون ذراعاً في ستة عرضاً وانهُ اقامهُ في بابل وامر بان يُسجد له وأعلم ان من لم يسجد له فهو ملقيهِ في الاتون وحرقه بالنار فاجتمع جميع الناس وسجدوا لهُ الّا الثلثة الفتية حنانيّاً وعزاريّا وميصائيل فالقاهم في الاتون

كذلك لم (53) تزل العامة تنقاد الى ملوكها بالقهر اذن ليس بعجب ان تنقاد الناس الى من خرج يدعو الى دين فمن لم يتبعـهُ ضربه بسيفهِ ومن تبعه عزّه وافرشه فرش الدنيا وفخرها واموالها وسعة شهواتها ولذّتها ونعيمها وسيا ان كان

قبل ذلك شقيًا لم يرَ خيرًا قطّ ولم يسمع خبرهُ وعلّمه من صفات الله ما تستحسنه عقول الناس السوقية امرٌ قد جاء به غيرهُ من قبله وعبدت الدنيا الله عليه دهورًا كثيرة على ما جرى عليه امر يختنصّر لان المالك تقهر مَن تحتها الى ما تحب والناس ايضاً تنقاد من اجل حياتهم ومن اجل شهواتهم ومطامعهم وعزّهم الى غير الحقّ ومن اجل ذلك اذن لا يثبت له امر انه من عند الله

فالذي يدعو الى الله على خلاف هذه الحالات مثل تلاميذ المسيح قوم كانوا اثني عشر رجلًا من اليهود واليهود كانت اسقط أمة في الدنيا عند الامم وابغضها اليهم وكانوا هم اذلّ مَن في أمّتهم واسفلها لا حسب ولا نسب لهم في الدنيا يطمع فيه احد وينقاد اليهم من اجله. وايضاً لم يكن لهم في الدنيا مال ولا منزل ولا مأوى ولا ثوبان ولا طعام يومين ولا مخلاة لينقاد اليهم التماساً لعطيتهم. وايضاً لم يكن لهم مالك ولا سلطان ولا سبب في الدنيا ولا قهر ولا عزّ لينقاد (54) اليهم احد لقهرهم او لخوفهم او التماساً للعزّ بهم بل قد كانوا على خلاف ذلك كل يقهرهم ويهينهم ويُفسلهم. وايضاً لم يكن فيهم من يفهم كتاباً ولا من عرف شيئاً من الحكمة الدنيويّة لينقاد الناس اليهم من اجلها. وكانوا يدعون الى دين النصرانيّة ولا يرخصون للناس في تناول شيء من شهوات الدنيا ولا كثرة نسائها ولا لذّاتها ولا فخرها لينقاد الناس اليهم بل على خلاف ذلك كله يعلّمون ترك ما فيها راساً. وايضاً لا يدعون الى الايمان بامر سمعوا به قطّ ولا بما تستحسنه عقولهم البشريّة ولا بما كان احد قبلهم دعا اليه احدًا ولكن بامر جديد غريب لانهم قالوا: ان الله بعث ابنه من السماء واتى امراةً عذراء فتجسّد منها وولد منها الاهاً وانساناً ونشأ في الدنيا كواحد من الناس. ولمّا دعا اليهود الى الايمان به لم يطيعوهُ بل خالفوه واجترأوا عليه فضربوهُ وصلبوهُ وقتلوهُ ودفنوه وقام من الموتى بعد ثلاثة ايام وصعد الى السماء. ولا خلاص لاحد من الخطيّة ولا من جهنم الّا به ولا الدخول الى ملك السماء الّا بالايمان به وانهُ الاه ابن الاه وبعثنا نكرز بين الناس بهذا ليحيوا

فهذا الايمان لا تقبلهُ عقول حكماء الناس ولا جهّالهم ولا اواسطهم وهو جدير ايضاً الّا يقبلهم احد لاجله وفي سواء ذلك الخلاف الذي ذكرنا انهم كانوا في الدنيا من السفالة بتّة (55). فنحن نرى الامم اجمعين قد قبلوهم على هذا الايمان وعلى هذه

الحالات التي ذكرنا وحوّلهم التلاميذ عن عبادة شياطينهم الطغمة النجسة التي كانوا نشأوا عليها هم وابارهم واجدادهم واجداد اجدادهم حتى ملأوا الدنيا من هذا الدين في اربع زواياها الى يومنا هذا. ومعروف ان هذا كله الذي كان ما شركتهُ قوّة انسية ولا حيلتها ولا ترخيص لاحد ولا شهوة جماع تطلق في هذا كله بل بقوة الله كان اجمع وباعاجيبه والما قبلتهُ الامم لانهُ لم تشركهُ قوة ولا حيلة انسيَّة بتة

وتصديق قولنا ان المسيح قال في الانجيل الطاهر للتلاميذ : « كما بعثني ابي اليكم انطلقوا الى جميع الامم وتلمذوهم وعمّدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا كل ما اوصيتكم بهِ وهاءنذا معكم جميع الايام الى تمام العالم فمن آمن عاش ومن لم يؤمن فهو مخصوم ومحجوج. وبعد ان كلمهم يسوع صعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وخرجوا هم وكرزوا في كل مكان والربّ كان يعينهم ويحقق كلامهم بالآيات والعجائب التي كانوا يعملونها وبها قبلهم جميع الامم ». فقد تحقق كلامنا انهُ بقوّة الله قُبل هذا الدين في الامم ولم يشترك فيهِ قوّة انسيَّة ولا حيلة ولا ترخيص ولا طمع فمن اجل ذلك هو من الله بلا محالة ولا دين غيره

فان قال قائل ان النصرانيَّة ليس ( 59 ) بقوّة الله قبلتها الامم ولا باعاجيب ولكن اضلّهم بولس واصحابهُ. فنقول: كيف ذلك وقد كانت الامم تعبد الشياطين وتسجد للاوثان الحجارة والخشب فردّت النصرانيَّة عبادتهم وسجدتهم الى الله. وايضاً قد كانت الامم في طغامة الدنيا ونجاستها في هوتةٍ لم يترلها احد ولا يستطيع ان يخرجها منها فغسلتهم واطلقتهم عن ذلك كلهِ ونقّتهم. اعني ان الامم كانت في نعيم طيب من طعام الدنيا وشربها وسكرها فانقذتهم من ذلك وألزمتهم الصيام الشديد والاقتصار على الخبز والماء.

وقد كانت الامم تتمادى على تزويج النساء الكثيرة واتخاذ الجواري كالخيل مع الزنا الفاحش القبيح الذي لا يحلّ ذكره فحسنتهم عن ذلك كلهِ والزمتهم العفة والاقتصار لمن اراد الدنيا على امرأة واحدة الى يومنا هذا. وقد كانت الامم ايضاً تلبس ثياب الملوك المنسوجة بالذهب اصنافاً لا تحصى وتنام على اصناف فرش مثل

ذلك لا ثمن لها فبغّضت ذلك اليهم واقتصروا على ثياب الصوف والرقاد على الحصر وعلى الارض

وقد كانت الامم تغصب وتنهب مال كلّ وتقهر كلًّا على شبه ذلك فكفّتهم عن ذلك وصيّرتهم يوزّعون مالهم ومتاعهم على اهل الفقر والحاجة. وكانت الامم تسكن قصورًا وبيوتًا مموّهة مغشّاة بالذهب والفضة فبغّضت ذلك اليهم والزمتهم السياحة (57) في البراري والسكنى في المغاور والكهوف كالوحش. وكانت الامم سباعًا لا تُرام تبتلع الناس وتسحق عظامهم وتأكل لحومهم بلا رحمة ولا مرثية فصرفتهم عن ذلك وصيرتهم كالخراف بين الذئاب يُشتَمون فيحتملون ويُضربون فيعفون يُلطمون على الخد الايمن فيحوّلون الايسر توخذ ثيابهم فيجودون بأكيتهم يُسخَّرون ميلًا فيقسخرون ميلين يستوهبون فيهبون يُستقرَضون فلا يمنعون يُلعنون فيباركون يُبغَضون فيحبُّون وغير ذلك ممّا كانت الامم على مثلهِ من قبل والى هذا صيّرهم بولس واصحابهُ

فان كان هذا يا هذا عندك ضلال فلا اشكّ ان الهدى عندك خلافهُ ان تَشتُم ولا تُشتَم وتضرب ولا تُضرَب وان شُتمت أن تضرب وان ضُربت ان تقتل هكذا عندك ذلك وجميع تلك الاشياء التي وصفناها على الخلاف. فلا اظنهُ يوافقك على هذا اهل الحكمة والمعرفة بصواب الحقّ. لانك قد قلبتَ الاشياء الى ورائها وصيّرت الهدى ضلالةً والضلالة هدى وقد خشيتُ عليك ان دمتَ على هذا ان تلزمك لعنة اشعيا النبي حيث قال: «ملعون من صيّر الحلو مرًّا والمرّ حلوًا والنورَ ظلمةً والظلمةَ نورًا والخير شرًّا والشرّ خيرًا». اذن لم يُضلّ بولس واصحابهِ الامم ولكنهم هدوهم الى هذا الهدى

وايضاً نجيبك على ما ذكرت ان تلاميذ المسيح ليس بالاعاجيب اخضعت الامم الى دين النصرانيّة (58) فنقول: انك وفي هذا الوجه ايضاً بالضلال قلت. وان اردت ان يستبين لك ذلك انهُ بآيات الله واعاجيبهِ اخضعوهم وليس بالضلال على ما وصفت فهاتِ قرّب لنا رجلًا من قبلك فعلّمهُ دين النصرانية وصيّره اعقل الخلق واكيسهُ عندك وامضِ وابعث بهِ الى السند والهند والى اهل الصين الذين يعبدون الاوثان فيكرز لهم بهذا الدين ويدعوهم اليهِ ويلتمس منهم الدخول فيهِ

حتى تنظر هل يقبلهُ احد من حكمائهم او اواسطهم او يقدر يضلّ بهِ منهم احداً. فان لم يكن هؤلاء يقبلون من رجلك وهو اعقل الخلق فكيف قبلت الامم اولائك وقد كانوا اهل سكون ودعة ليس عندهم من مكر الدنيا ولا حكمتها شيء ؟ اذن بقوّة الله واعاجيبهِ قبلتهُ هي

وان انكرت ذلك ايضاً فهاتِ رجلك هذا وليدفع اليهِ الله حفظهُ وقوة اعاجيبهِ مثلما كان دفعها الى بعض تلاميذهِ وكان يحفظهُ وليأتِ الهند مثلما اتاها توما تلميذاً لهُ اذ ذاك حتى ننظر ان كان يعجز ان يفعل فعل توما وصنيعهُ لان توما على ما تحدّث قصتهُ حين اتى الهند كرز لهم دين النصرانية فقال: ان الله بعث ابنهُ من السماء الى الدنيا فتجسّد من امرأة عذراء وولد منها انساناً وان اليهود صلبتهُ فمات وبعد ثلاثة ايام قام من الموتى وصعد الى السماء وجلس (59) عن يمين الاب وانهُ الاه وابن الاه وهو الذي يبعث الموتى ويدينهم ويجازي كل انسان كما تستوجب من خير او شرّ ولا خلاص لاحد الّا بالايمان بهِ. فلما سمعت مارك الهند كلامهُ هذا قالت: ويحك انت رجل تهذي. فقال لهم: لستُ اهذي ولكن على تحقيق ذلك هاتوا لي رجلاً ميتاً حتى اريكم ذلك. فاتوه بميت فقال لهم: هل يستطيع يحيي هذا الّا من هو الاه ؟ قالوا لهُ: لا. فقال للميت: باسم يسوع المسيح المصلوب بيت المقدس قُمْ. فقام الميت فحينئذٍ امن بالمسيح الملوك وغيرهم من الناس

فمن عاين ذلك من رجلك اذ كان يحفظهُ المسيح وكان معهُ هذه القوّة بأن يصنع هذا الصنيع ولا يعجز عنهُ بعد ان رآه العقل في اول مرة حين لم يكن معهُ هذه القوّة ولا هذا الحفظ الذي افادهُ المسيح لتلاميذهِ خضع لهُ الامم في هذا الدين ليس بقوّة الناس ولا حيلهم ولا عزهم ولا مطامعهم ولا ضلالهم. كذلك اعلم وتيقن ولا تشكّ ان هذا الدين من الله لا شكّ فيهِ وليس منهُ غيرهُ ولا دين يرضى بهِ الاهُ له الشكر والمجد وللابن والروح القدس الان وداعاً والى دهر الداهرين امين وعلينا رحمتهُ اجمعين

# النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي ( تابع )

## قبائل العرب المتنصّرة (تتمّة)

٣١ ﴿ عجل ﴾ قبيلة كبيرة من بكر بن وائل وهم عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم اخوة بني حنيفة وكلهم نصارى كما سبق فتبعتهم عجل في دينهم. وعجل احدى قبائل النصارى التي ظفرت بالعجم يوم ذي قار (١ وكان سيدهم حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي وكان على شيبان هانئ بن قبيصة النصراني ( الاشتقاق لابن دريد ص٢١٦ ). وقد روى ابو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية ( ed. Sachau, p. 314 ) « انّ العذارى النصرانيّات من العرب صُمن شكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار فنُصروا عليهم » وهو اصل صوم العذارى الواقع يوم الاثنين بعد عيد الدنح ويدوم ثلثة ايام — وبقيت عجل على نصرانيتها حتى بعد ظهور الاسلام فحاربت خالد بن الوليد وجيوش المسلمين تحت قيادة جابر بن بُجير وعبد الاسود النصرانيين كما روى الطبري ( ج١ ص ٢٠٣٢—٢٠٣٣ ) وابن خلدون ( ج ٢ ( تتمة ) ٨٠ ) وقال كلاهما هناك انّ عبد الاسود وجابر كانا سائرين في نصارى العرب « من عجل وتيم اللات وضُبيعة ». ولم يعدل بنو عجل عن نصرانيتهم الى ايام بني امية والدليل على ذلك ان الطبري صرّح بنصرانية سيّد بني عجل أبجر بن جابر ( الطبري ج ١ ص٣٤٦٠ ). وبقي ابنهُ حجّار على دينهِ يشهد عليهِ هجاء قالهُ فيهِ الشاعر عبدالله بن الزبير وكان حجّار من اشراف اهل الكوفة ودونك الشعر ( الاغاني ١٣ : ٤٦ — ٤٧ ) :

سليلَ النصارى سُدْتَ عِجلًا ومن يكن كذلك اهلٌ ان يسود بني عِجلِ

---

١) اطلب الاغاني ج ٢٠ ص ١٣٣ — ١٤٠

ولكنهم كانوا لئاماً فسُدْتم وتلك من ساد اللئام بلا عقل
وكيف يعجل ان دنا الفصحُ وانتدت عليك بنو عجل ومرحلكم يغلي
وعندك قسّ النصارى وصُلْبها وغانية صهباء مثل جنى النحل

وهو القائل لما تهدّدتهُ بنو العجل بالقتل لهجوه سيدهم:

عُدّدني عجلٌ وما علمتُ انني خلافٌ لعجل والصليبُ لها بعلُ...

يريد اكراه بني عجل للصليب على مألوف عادة النصارى

٣٢ ﴿ عُقَيل ﴾ بطن من كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من غطفان. كان يسكنون اليمامة وكان اهل اليمامة كما سبق من اتباع النصرانيّة. وقد خصُّوا بالذكر عُقيلاً وذكروا لهم اساقفة. ولمّا ظهر الاسلام دانوا به مدة حتى وفاة محمد ثم ارتدُّوا الى دينهم فاضطرّ ابو بكر الصديق الى ان يرسل اليهم بعثةً لمحاربتهم

٣٣ ﴿ غسّان ﴾ لا حاجة الى الاطالة في ذكر نصرانيّة غسّان وقد مرّ لنا كلام مُسهب في ذلك. وليس بين كتبة العرب من يعدّد القبائل المتنصرة الّا ذكر في مقدّمتها او في جملتها قبيلة غسّان كالاصطخري في مسالك الممالك (ص ١٤) واليعقوبي في تاريخه (١: ٢٩٨) وابن سعد في كتاب الوفادات (ed: Wellhausen, Skizzen, IV, 7) والسيوطي في المزهر والفيروزابادي في مقدّمة المحيط (١. واشتهر منهم بنو جفنة ملوكهم الذين امتدحهم النابغة الذبياني بحسن الدين فقال:

بحلّتهم ذات الاله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقب

٣٤ ﴿ فَرَسان ﴾ هي قبيلة من تغلب واليهم نُسبت جزائر فَرَسان. قال ابن الحائك في كتاب الاكليل (٢: ٥ من جزائر اليمن جزائر فَرَسان وفَرَسان قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى ولهم في جزائر فرسان كنائس قد خربت وفيهم بأس... ويحملون التجار الى بلاد الحبش ولهم في السنة سفرة وينضمّ اليهم كثير

---

١) وممّن اتّسموا في تاريخ غسّان اللّذان نُدّد في كتابه (Die Ghassanischen Fürsten aus dem Hause Gafnas) وكذلك الرحّالة دوسُو وصفهم بالتحمّس الديني في النصرانية (Les Ghassanides. . .) قال عنهم: (Dussaud: *Les Arabes en Syrie avant l'Islam.* fervents chrétiens et fondateurs de monastères, p. 52)

٢) اطلب معجم البلدان لياقوت (٣: ٨٧٣–٨٧٤)

من الناس ونُسّاب حمير يقولون انهم من حمير ». وفي تاج العروس (٤ : ٣٠٦) « انّ غَرَسان لقب عمران ابن عمرو . . . بن تغلب قيل لقّب به لجبل بالشام اجتاز فيه وسكن ولده به ثمّ ارتحلوا باليمن ونزلوا هذه الجزيرة فعُرفت بهم فلمّا اجدبت نزلوا الى وادي مَوْزَع فغلبوا عليهم وسكنوا هنالك. ومن الغَرَسانيين جماعة يقال لهم التغالب يسكنون الربع اليماني من زبيد »

٣٥ ﴿ قُرَيش ﴾ أتينا في مطاوي كلامنا عن مكة بذكر آثار النصرانية في قُرَيش مع الشواهد على ذلك. فليراجع

٣٦ ﴿ قُضاعة ﴾ أشرنا مرارًا الى نصرانيّة هذه القبيلة التي كانت تُعد من أمّهات القبائل والى نصرانيّة بطونها كجرم بن ريّان وسليح وكلب بن وَبَرة وتيم اللات. وممن صرّحوا بدينها النصراني ابن واضح اليعقوبي في تاريخه قال (١ : ٢٣١) : « كانت قضاعة اوّل من قدم الشام من العرب . . . فدخلوا في دين النصرانية فأكّبهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب ». وقد مرّ قول الفارابي (اطلب المزهر ١ : ١٠٥) عن نصرانية قضاعة. ومثلها الفيروزابادي حيث قال : « كانت النصرانيّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وبعض طيّ » وقد افادنا ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٥٨) انّ دير خندف في نواحي خوزستان قد بنتهُ ليلى القضاعيّة المعروفة بخندف امّ ولد الياس بن مضر (١

٣٧ ﴿ القين ﴾ او بَلقين هم بطن من قضاعة بنو القين بن جسر بن الاسد بن وَبَرة ومن الشواهد على نصرانيتهم ما رواه الطبري في تاريخه (١ : ٢٣٤٧) عن هرقل انّهُ سنة ١٤ للهجرة ساق لقاتلة المسلمين في اليرموك وكان معهُ من القبائل النصرانيّة المستعربة « لخم وجذام وبَلقين وبَلِيّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة » وكانت هذه القبائل حاربت مع الروم سابقاً في تبوك سنة ٧ للهجرة (٢

---

١) وقد اقرّ بنصرانية قضاعة العلّامة ڤلهوزن فقال : « كل قبيلة قضاعة كانت متنصّرة في القرن السابق للاسلام » (In dem Jahrhundert vor dem Islam hatten alle Quda'a-staemme es (das Christentum) angenommen. Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 231) (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, اطلب (٢ III. 292,295) راجع ايضاً تاريخ الطبري (١ : ١٨٧٢)

٣٨ ﴿ كلب ﴾ بن وَبَرة قبيلٌ عظيم من قضاعة يُقسم الى عدَّة بطون. وهم من اعرق العرب في النصرانيَّة واقدمهم عهدًا فيها. كما رأيت في تاريخ الشام والجزيرة (١ وقد عرفت قبيلة كلب بشرفها وعزّها. ومن امرائها النصارى زُهير بن جناب احد المعمرين. ومنهم بُجدل بن أُنيف النصراني خو معاوية بن سفيان كان لهُ كنيسة في دمشق. ومنهم دَحية بن خليفة قال ابن دُرَيد (في الاشتقاق ٣١٦): « هو الذي كان جبريل عليهِ السلام ينزل في صورتهِ (كذا) ». ومنهم فرافصة النصرانية زوجة عثمان وقد دعت ابنةً لها بمريم. وبقيت كلب مدَّة على نصرانيتها بعد الاسلام الّا بعضهم وفي المنتخب لياقوت (٢: اسلمت كلب غير مدرء كانوا نصارى ». وفي سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٢). انَّ محمدًا دعا الى الاسلام قومًا من كلب يُعرفون ببني عبدالله فلم يقبلوا منهُ. وكانت كلب تسكن بقاع الشام حتى نُسبت اليها. قال ياقوت في معجم البلدان (١: ٦٦٩):

« البقاع. يقال لهُ بقاع كلب قريب من دمشق وهو ارض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة غيرة وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل يقال لهذه العين عين الجرّ. وبالبقاع هذه قبر الياس النبي عم (٣ »

٣٦ ﴿ كندة ﴾ سبق الكلام عن كندة ونصرانيَّة اهلها في اثناء كلامنا عن النصرانيَّة في الحجاز ونجد. وقد روى ابن هشام عن ابن اسحاق في سيرة الرسول ثباتهم على دينهم بعد ظهور نبيّ المسلمين قال (ص ٢٨٢): « اتى (النبيّ) كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال لهُ مُليح فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسهُ فابوا عليه ». ومن رجال كندة عبد المسيح عاقبُ نجران في اوّل الاسلام والعاقب عندهم دون السيد. ومنهم ايضاً حُجيَّة بن المضرّب الشاعر الذي ادرك الاسلام ومات على نصرانيتهِ كما روى في الاغاني (٢١: ١٦)

٣٧ ﴿ لخم ﴾ احد احياء اليمن الكبرى الشهيرة بنصرانيتها. قال صاحب السيرة الحلبية (٣: ٩٥): « ومن القبائل المتنصرة بكر ولخم وجذام ».

---

١) اطلب الباب التاسع من القسم الاوّل ثم راجع ايضاً تاريخ ابن خلدون (٢: ٣٤١)

٢) اطلب (Lammens: *Etudes sur Mo'awia*, 287-289)

٣) لعلَّهُ يشير بذلك الى « قب الياس » لكن قبر الياس التي لا يُعرف مكانهُ

وكذلك اليعقوبي ( ١ : ٢٩٨ ) جعل لخماً من جملة القبائل النصرانيَّة في اليمن . ومثلها السيوطي في المزهر ( ١ : ١٥ ) . وبقيت لخم على دينها زمناً بعد الاسلام فتراها محاربةً لجيوش المسلمين مع جُذام وعاملة وغسَّان ( اطلب فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٩ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٨١ ) . ومن لخم كان ملوك الحيرة الذين روينا اخبارهم وذكرنا تنصُّر كثيرين منهم . ومن لخم كان بنو عديّ بن الذميل النصارى الاشراف الذين ذكر ابن دريد في الاشتقاق ( ص ٢٢٦ ) بيعتهم في الحيرة

ومن اللخميين بنو صالح الذين اختارهم يوستنيان ملك الروم لحراسة دير طور سينا كما ذكر ابن بطريق في تاريخهِ ( راجع طبعتنا ص ٢٠٤ ) . وذكر كتبة العرب عدَّة اديرة وبيعاً بناها اللخميون كدير علقمة ودير حنظلة اللخمي وبيعة عدي بن الدُّميك اللخمي ( ياقوت ١ : ٧٩٦ )

٣٨ ﴿ مازن ﴾ بطن من الازد كانوا في العراق يدينون بالنصرانيَّة . وقد ذكر لهم البلاذري في فتوحاتهِ ( ص ٢٨١ ) بيعةً فقال : « وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الازد من بني عمرو بن مازن وهم من غسَّان »

٣٩ ﴿ مَذحج ﴾ قبيلة يمنيَّة تنتسب الى مذحج وهو مالك بن ازد بن ادد بن كهلان . ذكرها ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ ( ١ : ٢٩٨ ) مع القبائل المتنصرة فقال : « تنصَّر من اليمن طيّ ومذحج الخ » . ومن مذحج كان بنو الحارث بن كعب اهل نجران المشهورون برسوخ قدمهم في الدين النصراني

٤٠ ﴿ معدّ ﴾ ابو القبائل العدنانيَّة . ورد ذكر نصارى معدّ واساقفة معدّ في تواريخ السريان كما سبق . وكثيراً ما كانوا يطلقون اسم المعدّيين على العرب المتنصرين كقولهم جرجس اسقف المعدّيين (١ وكذلك كانوا يدعون بني كلب النصارى بالمعدّيين ( ﻣﻌﺪﻳﻤﻠﻪ ﻛﻠﺒﻴﻤﻠﻪ ) ومثلهم بنو عقيل ( ﻣﻌﺪﻳﻤﻠﻪ ﻋﻘﻠﻴﻤﻠﻪ ) (٢

٤١ ﴿ مَهرة ﴾ حيّ عظيم من قضاعة ونصارى مثلهم ينتسبون الى مهرة بن حيدان وكانوا يسكنون اليمن مع الحميريين وكان اميرهم عند ظهور

---

١) اطلب (Land, *Anecdota Syriaca*, I, 47)

٢) Smith: *Thesaurus Sy.*

الاسلام الحارث بن عبد كلال وفد على نبيّ المسلمين كما روى الطبري (ج ١ ص ١٧١٧) مع ملوك حمير

٤٢ ﴿ تاجية ﴾ هم بنو تاجية بن عِقّال قوم الفرزدق ينتمي نسبهم الى تميم. ولنا على نصرانيتهم في الجاهليّة شاهد باهر في ما رواه الطبري في تاريخ سنة ٣٨ (ج ١ ص ٣٤٣٤ — ٣٤٣٥) حيث حدّث عن ابن الطُّفيل ما حرفهُ :

« قال كنتُ في الجيش الذي بعثهم عليُّ بن ابي طالب الى بني ناجية فقال فاتيناهم فوجدناهم على ثلث فرَق فقال اميرنا لفرقة منهم : ما انتم . قالوا : نحنُ قومٌ نصارى لم نَرَ ديناً افضل من ديننا فتثبتنا عليهِ . فقال لهم : اعتزلوا . وقال للفرقة الأخرى : ما انتم . قالوا كنّا نصارى فاسلمنا فثبتنا على اسلامنا فقال لهم : اعتزلوا . ثم قالوا للفرقة الاخرى الثالثة ما انتم . قالوا : نحن قوم كنا نصارى فاسلمنا فلم نَرَ ديناً هو افضل من ديننا الاوّل فقال لهم : أسلموا . فابوا فقال لاصحابهِ اذا سمعتُ راعي ثلاث مرات فشدوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرّية فجيء بالذرّية الى عليّ فجاء مصقلة بن هُبيرة فاشتراهم باثني الف فجاء بمائة الف فلم يقبلها عليّ فانطلق بالدراهم وعمد اليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية فقيل لعليّ : الا تأخذ الذريّة . فقال : لا . فلم يعرض لهم

٤٣ ﴿ النبط ﴾ سواء عُدَّ النبط من العرب او من عنصر آخر لا شكّ انهم اختلطوا بالعرب في انحاء شتى من بادية الشام وارياف العراق وتخوم مصر .. وتديُّنهم بالنصرانيّة قديم تشهد عليهِ عدّة شواهد لكتبة السريان واليونان والعرب رويناها في الفصل الاوّل الباب الثالث . وقد صرّح بذلك قزما الرحّالة الهندي في القرن السادس للمسيح وغيرهُ كثيرون . وكان لهم كنائس يطيفون بها في مناسكهم واليها اشار متمم النويري يصف ناقتهُ :

بمُجَسَّدة عنس كأن قَراها فدَنٌ تُطيف بهِ النبط مرفَّعُ

٤٤ ﴿ النَّخَع ﴾ بطن من مذحج السابق ذكرهم . كانوا نصارى يسكنون نواحي نجران . ومنهم كان بنو عبد المدان بن عُلة بن سعد العشيرة وهو مذحج من سادة اليمن . وكان زُرارة النخعي من اشرافهم وفرسانهم . قال ابن سعد في الوفادات (ed. Wellhausen, Skizzen, IV, ٦٩) : « هو زرارة بن قيس بن الحرث بن عبدًا . وكان نصرانياً » وجاء مثل ذلك في أُسد الغابة لابن الاثير (ج ٢ ص ٢٠٢)

٤٥ ﴿ النمر بن قاسط ﴾ حي من ربيعة نزلوا في الجزيرة مع بني تغلب

وبني بكر . وقد سبق في ذكر تاريخ عرب الجزيرة انَّهم دانوا كلهم بالنصرانيَّة وفي المعارف لابن قتيبة « ان تنوخ وغر وكلب ثلاثتهم اخوة ». وفي فتوح البلدان للبلاذري ( ص ٢٤٧ ) انَّ بني النمر بن قاسط حاربوا خالد بن الوليد في عين تمر مع تغلب واياد والقبائل العربيَّة المتنصرة . وكانوا سنة ١١ للهجرة حاربوا المسلمين في البحرين مع شيبان وتغلب ( الطبري ج ١ ص ١٩٧٣ )

١٦ ﴿ بشكر ﴾ فرع من بني بكر كانوا يدينون بالنصرانيَّة كاخوتهم من بكر . وكانوا من جملة العرب الذين حاربوا العجم يوم ذي قار . وكانوا محالفين للخميين ويحاربون معهم وكفى بذلك دليلاً على دينهم

هذا ما امكننا جمعهُ من آثار النصرانيَّة في قبائل العرب ولو سمح لنا الوقت بمراجعة كثير مما لدينا من المطبوعات والمخطوطات لوجدنا ادلَّة غير التي ذكرنا . ولا بُدَّ هنا من تنبيه القرَّاء الى امر مهم وهو ان قدماء الكتبة ما كانوا غالباً يكترثوا بذكر اديان قبائل العرب لاسيما قبل الاسلام فيطلقون عليهم اسم الجاهليَّة او اسم المشركين دون الافراز بين النصارى وغيرهم . وكانوا لا يرون في نصرانيتهم امرًا غريباً على خلاف اليهود فانهم اذا ذكروا قبيلة يهوديَّة عرَّفوا دينها سواء ارادوا بذلك تمييزها او قصدوا بيان اصلها الاجنبي . تمَّ الجزء الاول . ( ويليه الجزء الثاني في الآداب النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة )

# من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي ( تابع )

١٠ مار يعقوب — القوش — رَبَّان هرمز

تمرُّ طريق زاخو الى مار يعقوب بين جبال تُدعى بها « زاخو داغ » تنفصل قضاء زاخو عن سهول الموصل . فلمَّا قطعناها احببتُ ان اتقدَّم امام القفل ماشياً لاصلي صلاتي في عزلة كمألوف عادتي . فوجدت في تلك الاودية من مشاهد الطبيعة ما كان يرفع قلبي الى الله . ولم يخطر على بالي ان اللصوص وبما كمنوا في تلك القفار يسلبوا ابناء السبيل

وانا لكذلك اذ واجهتُ في مضيق من الطريق نفرًا من اجلاف الاكراد المدججين بالاسلحة كانوا متجهين الى زاخو. فلمَّا رأوني منفردًا ماشيًا نظروا اليَّ شزرًا وتهامسوا سرًّا امَّا انا فلم ابالِ بل سلَّمتُ عليهم وسرتُ في طريقي دون ان انسب اليهم فكرًا سيئًا لكنهم بعد قليل استقبلوا رفقتي فسمعوهم يقولون في لغتهم: « ما لنا لا نقتل هؤلاء الكفَّار كما يفعل اخوتنا في سعرت وديار بكر » فاستدللوا من كلامهم على سوء نيتهم واسرعوا اليَّ طالبين أَلَّا ابتعد عن القتل لاسيما اخي الذي اوقف نفسهُ لخدمتنا في هذا السفر

والحقّ يقال انَّ هؤلاء الاكراد كانوا خلعوا العذار وقلبوا ولايات ديار بكر ومعمورة العزيز ووان ظهرًا لبطن. وهم عدَّة قبائل كالهاوند والكوتشك والحكَّاريين يبلغ عددهم في جبال كردستان وسهول العراق والجزيرة نحو مليونين وهم مسلمون شيعيون لغتهم فرع من الفارسيَّة وكثير منهم يرتزقون بالفلاحة الَّا انَّ قسمًا كبيرًا يفضلون قطع الطرق ولا تقوى الدولة على كبح جماحهم الَّا بالجهد الجهيد. فلمَّا اطلق السلطان عبد الحميد يدهم على الارمن في خريف سنة ١٨٩٥ اندفعوا كالسيل الجحاف الى كل الجهات حيثما يؤملون غنيمة باردة. على انَّ الله انقذ ولاية الموصل من شرهم

وبعد ان قطعنا جبال زاخو انتصبت امامنا جبال اخر تتصل شرقًا بجبال عمَّادية وكوتشانس حيث يقيم النساطرة. ففي مدخل تلك الجبال قرية صغيرة لا ينيف بيوتها على ٣٠ بيتًا تُدعى مار يعقوب. واسمها مشتقّ من اسم دير قديم كان هناك يرقونهُ الى قرون الميلاد الاولى. كان يسكنهُ كثير من الرهبان فخرب الدير وبقي في مكانهِ قوم من الفلاحين النساطرة. فلمَّا كانت اوائل القرن التاسع عشر سعى المرسلون الدومنيكان في ردّ تبعة نسطور الى حجر الكنيسة فبارك الله اتعابهم وارتدّ منهم اهل بعض القرى ومن جملتهم مار يعقوب. ثمَّ في السنة ١٨٤٥ اختار احد رؤسائهم الاب موكي قرية مار يعقوب فجعل فيها مقامهُ ليكون هو ورهبانهُ اقرب الى منازل النساطرة ليدعوهم الى الايمان الكاثوليكي. ثمَّ عمروا هناك ديرًا وانشأوا فيهِ مدرسةً سنة ١٨٧٥ لتهذيب بعض الاحداث الذين يرشحونهم للتعليم في مدارسهم القروية لاسيما في جبال النساطرة. وفي هذا الدير سكن مدَّة السيد بلانشه (Mgr.

( Planchet مدّة قصادته الرسوليّة في ما بين النهرين ( ١٨٥١ — ١٨٥٩ ) مع الاب يوسف لابورد رفيقه

ولا حاجة الى ذكر ما لقينا في مار يعقوب من التحفي فانّ رهبانهُ الافاضل استقبلونا على الرحب والسعة وأنسونا بلطفهم كل مشاقّ الطريق. فكانت ليلتنا بينهم من ابهج أوان سفرنا. وقد رأينا مدرستهم التعليمية الذي يبلغ عدد طلبتها نحو الثلثين تلوح على وجوههم لوائح النجابة والغيرة في خدمة مواطنيهم. ولا شكّ انّ هؤلاء المعلمين اسعفوا المرسلين في مهامّهم الرسوليّة بين الفاطرة واكسبوهم ثقة الاهلين الذين ارتدّ منهم الى الكثلكة نيف وعشرون الفاً

وفي صباح اليوم التالي قدّمنا الذبيحة المقدّسة في كنيسة الدير التي هي حسنة الهندسة بديعة النقوش مع صغرها ثم زرنا القرية القريبة من الدير ومنها يكشف النظر على بلاد نينوى ومزارعها المخصبة. وفي هذه القرية بناء يدعونهُ قبر الاسد فيروى ان الاسود كانت تأوي في الزمن القديم الى هذه الجبال فلمّا سكن الرهبان القدماء هذا المكان ظهر فيهِ اسد رئبال كاد يفرّق شملهم فامر رئيسهم احد مرؤوسيه بان يذهب الى الاسد ويقودهُ اليه فاطاع الراهب من وقتهِ وجازاه الله عن طاعتهِ بان ذلّل امامهُ ذاك الوحش الضاري وجعلهُ داجناً ألوفاً يخدم الرهبان في حاجاتهم. وبقي في خدمتهم سنين طويلة حتى مات فاسف عليه الجميع وحفروا لهُ قبرًا بين اربعة اشجار من السنديان تُرى الى اليوم واهالوا الحجارة على جثة الحيوان. ومن عجيب الامور ان الربيع كسى هذه الحجارة خضرة فصارت كالقبة الخضراء.

انحدرنا يوم الاثنين من دير مار يعقوب الى بقاع الموصل ولم نسر اليها توًّا بل عدلنا الى الشمال لنزور مدينة القوش ودير رهبانها الكلدان. وبعد ساعتين بلغنا قرية معلثاي ومعناها في الكلدانيّة المدخل. قيل انّ هناك كان مدخل مدينة نينوى التي ذكر سفر يونان ( ٣:٣ ) انها كانت « تمتدّ على مسيرة ثلاثة ايام ». وقد باشر الاثريون الاوربيون قريباً من معلثاي حفريات اوقفتهم على جملة آثار من كتابات على الآجر وابنية وتماثيل تتراوح بين القرن السابع والعاشر قبل المسيح

ثمّ قطعنا على ظهر الخيل نهر دهوك الجاري هناك فناخت الدابّة الحاملة لحوائجنا كأنّها تريد ان تغتسل بالماء. فبلّلت قسماً منها ولو لم يُسرع صاحبها الى

زجرها لكان الخطب اعظم واتلفت كل لوازم سفرنا . وبعد ان تناولنا طعام الغداء على ضفة النهر سرنا حثيثاً الى القوش فبلغناها بُعيد العصر ولم ننزل فيها بل توجهنا الى دير على مسافة نحف ساعة منها وهو دير السيدة لرهبان مار هرمز الكلدان حيث نزلنا ضيوفاً مكرَّمين فاستقبلنا حضرة رئيسهم العام الاب بطرس كأعزّ الاخوان

ولا غروَ فانَّ رهبان دير السيدة بحسن استقبالهم ارادوا ان يبدوا بشكرهم للرهبانيَّة اليسوعية على فضلها نحوهم في انشاء ديرهم . فانَّ السيد مبارك بلانشه هو الذي في مدَّة قصادته الرسوليَّة على ما بين النهرين كان سعى ببنائه وهندسته . ثم خلفهُ السيد امانتون ( Mgr Amanton ) الدومنيكي فساعدهم في اتمامه وتجهيز اثاثه . وهو دير واسع وثيق البناء بعيد عن ضوضاء العالم وكنيسته رحبة تقويَّة

وكان لهم سبب آخر دعاهم ايضاً الى الترحيب بنا . وذلك ان منشئ رهبانيتهم كان من اهل ماردين من عائلة تقرب عائلتنا وكان اسمهُ جبرائيل دَنبو . فهذا المذكور ولد في ماردين نحو السنة ١٧٨٠ وكان يتعاطى التجارة فسافر في غرَّة القرن التاسع عشر الى البصرة لاشغاله فنُفي هناك بسداء عُضال يئس من شفائه الاطباء . فوجه بنظره الى السماء ونذر الترهب اذا عوفي من مرضه فلم يلبث ان نال العافية التامَّة ورجع الى وطنه ليفي بنذره . لكنَّ المعيشة الرهبانيَّة كانت قد بطلت في بلاد ما بين النهرين منذ قرون عديدة فطلب مشورة احد الرهبان الكرمليين الذي اشار اليه ان يذهب الى لبنان ويأخذ من رهبانه قوانين الترهب ويعود الى وطنه فينشئ فيه ادیرةً لاهل طائفته

فاستحسن جبرائيل راي المرسل الكرملي وقدم لبنان ولبس الاسكيم الرهباني في احد اديرة الرهبان الموارنة فلمَّا اتقن آدابهم النسكية بعد خمس سنوات عاد الى بلاده ثم دعا الى الرهبانية بعض اهل ملته واعطاهم قانون مار انطونيوس ابي الرهبان . ثم عرضوا امرهم على يوحنَّا هرمزد بطرك الكلدان والسيد حنانيشوع مطران العماديَّة فنالوا منهما بعد الجهد الجهيد ديراً قديماً في الجبل المشرف على القوش يُعزى الى رَبان هرمزد كانت بطلت فيه السيرة الرهبانية منذ مئتي سنة فانتقلوا

اليه ورسموه سنة ١٨٠٨ وسكنوا فيه الى يومنا. ورُقي جبرائيل الى درجة الكهنوت سنة ١٨١١ بعد الحاح الاخوة عليه

ثم كثر عدد الرهبان لقداسة منشئهم وحسن سمعة تلامذته وغيرتهم فبعد مدة فتحوا اديرة أخرى منها دير السيدة او دير مارت مريم المذكور (١٨٥٨) ودير مار جرجس (١٨٦٢). وقد اثبت الكرسي الرسولي هذه الرهبانية سنة ١٨٤٤ ومنها خرج نحو عشرين بطركاً او مطراناً او اسقفاً خدموا الكنيسة الكلدانية اصدق خدمة واولوها رقياً وبهاء بشروعاتهم الرسولية المختلفة. هذا فضلاً عن عدد كبير من فضلاء الكهنة والرهبان الذين استحقوا ثناء مواطنيهم عموماً ببرّهم وغيرتهم الرسولية وتآليفهم العديدة

اما الاب جبرائيل رئيسهم فدبرهم احسن تدبير الى السنة ١٨٣٢ حيث مات شهيد محبته. ففي ذلك العام خرج محمّد باشا امير الأكراد في راوندوز لمحاربة جنود الدولة ووالي السادية فوشى لديه بعض اعداء النصارى باهل القوش. فسار اليهم ليقاتلهم فهرب الالقوشيون الى دير ربّان هرمزد لكنّ الاكراد احاطوا بهم وقتلوا منهم كثيرين ومن جملتهم الآباب جبرائيل وبعض رهبانه. وكان الاب جبرائيل نجا من ايديهم اذ رأى امراة تُعول وتصيح على ولدها الذي كان بقي وراءها. فحنّ عليها الاب الحنون وانفتل راجعاً ليخلص الولد فادركهُ الاكراد وقتلوه. وبقي جسدهُ بلا فساد حتى جاء الرهبان ودفنوه باكرام في احدى كنائس القوش فبقي هناك الى سنة ١٨٤٣ حيث نُقلت بقاياهُ الى دير ربّان هرمزد. وقد وجدنا في دير السيدة ترجمة حياته هذه بالكلدانية مع قصة دير ربّان هرمزد من السنة ١٨٠٨ الى ١٨٣٢ فاستنسخناها لمكتبتنا الشرقية ونسختنا هذه قد نقلها مؤخرًا الى الفرنسوية المستشرق الاديب موريس بريار (Maurice Brière) فنشرها في مجلة الشرق المسيحي (Orient Chrétien, XV, 410 et XVI 115, 259 et 346) دون اصلها الكلداني

فبين هؤلاء الرهبان الافاضل قضينا تلك الليلة وفي صباح اليوم التالي بعد الصلاة وزيارة الدير تفقدنا مكتبة الرهبان الغنيّة بمخطوطاتها السريانيّة والعربيّة ودوّنا لسماء الكتب التي رأينا في تعريفها افادة من جملتها كتب طقسية ودينية

مكتوبة على الرق . ثمَّ عند رأد الضحى رافقونا الى القوش لزيارة كنيستها ونظر اثارها

القوش بلدة قديمة اهلها اليوم نحو ٥٠٠٠ معظمهم كلدان كاثوليك وهي تُعدّ كمقتل الكتلكة في جهات الموصل منها خرج عدد من مشاهير رجالهم . وللكلدان في القوش عدّة كنائس زرنا بعضها التي فيها مسحة من الطرز الهندسي القديم كما اننا اجتمعنا ببعض كهنتها الذين يرعون شعبهم بكل همة وتقى . وكثيراً ما سعى المبتدعون البروتستانت وبعض اهل الفساد ان يُلقوا الزؤان في هذه التربة الصالحة ليغووا الالقوشيين بأضاليلهم فرُدُّوا خائبين وعاهم لن يفلحوا ابداً في تحقيق نيّاتهم السيئة — ومما راينا في القوش كنيس لليهود يحجُّون اليه من كل صوب ويزعمون انَّ فيه قبر ناحوم النبي المنسوب في اوّل نبوَّته الى « القوش » . وقد ارتأى البعض انَّهُ ولد فيها مدَّة جلاء بابل . لكنَّ هذا الراي ضعيف والارجح ان القوش المذكورة احدى قرى الجليل التي رأى القديس ايرونيموس اخربتها . وقيل غير ذلك ايضاً والله اعلم . واهل القوش يتكلمون حتى يومنا بالكلدانية العاميَّة كاهل القرى المجاورة للموصل وقد راينا منهم من ينقل الكتب القديمة ويرسم تصاويرها لاسيما الكهنة المولعين بدرس آداب اجدادهم ومآثرهم الخطيَّة

وفي عصر النهار رقينا جبل القوش لنزور دير رَبّان هرمز الشهير وهو على مسافة نصف الساعة من القوش يُصعد اليه على طريق اشبه بالسلَّم لكنَّ السائر اذا بلغ اعلاه لا يلبث ان ينسى تعبهُ لما يشاهد من المناظر الرائقة والآثار البديعة . اذ وصلنا توارد الرئيس ورهبانهُ الى السلام علينا ومؤانستنا واستقبلونا في ديوان كبير يطلّ على سهول الموصل ودساكرها . ثمَّ تلطفوا وقدَّموا لنا القهوة في فنجان من زمن الاب جبرائيل فأثَّر فينا هذا التذكار واستلمنا تلك الذخيرة قبل شرب محتواها

ثمَّ دعانا حضرة الرئيس الاب افرام الى زيارة ديره فكانت تلك ساعة بهجة وسرور اذ تفقدنا بقايا مزار ينطق بلسان حاله عن مفاخر الكنيسة الكلدانية القديمة . وما يقال عنهُ بالاجمال انَّ الدير بما يحيط بهِ من نواحي الجبال يشبه كنيسة عظيمة رفيعة الجدران قبتها السماء وسرُجها الوادي وحنيَّتها معاطف الجبل وراءها وهيكلها دير رَبّان هرمز . وترى على جانبي الدير عدَّة قلالي نقرها قدماء

النسّاك في الجبل شبه الكهوف فعاشوا فيها عيشة ملائكيّة في الصوم والصلاة والاشغال اليدويّة. وكان عددهم يبلغ المئين وهم اليوم عشرة او اثنا عشر. ثمّ درنا في داخل الدير ورأينا قلاليّهُ المستحدثة التي نصفها منقور في الصخر الاصمّ كبعض قلالي قزحيًا او بيوت قرية معلولا

وهناك اسراب عميقة ضيّقة فيها قبور البطاركة النساطرة ثم الكاثوليك الذين سكنوا في هذا الدير. وترى لكل ضريح صفيحة من الرخام عليها دستور ايمان البطريرك بالكلدانيّة مع شعارهِ وتاريخ كتابتهِ. واقدم تاريخ تلك الكتابات من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر للمسيح وهي كلها مرقومة بحساب اليونان وسني الاسكندر

ربّان هرمز منشئ هذا الدير عاش في القرن السادس للمسيح وقد خلط البعض بينهُ وبين سميّهِ الشهيد هرمزد الفارسي في اواخر القرن الرابع وقد استولى النساطرة على الدير عدّة اجيال حتى صار الى الكلدان الكاثوليك في القرن الثامن عشر بعد ان فنيت مدّةَ العيشة الرهبانيّة فأضرم جذوتها الاب جبرائيل كما رأيت

وكنيسة دير ربّان هرمز محدثة لكنها محكمة البناء حسنة الهندسة والزينة داعية الى التخشع. وفيها قبر الاب جبرائيل فانّ ابناءه سنة ١٨٤٣ استحضروا لجثتهِ تابوتاً فخيماً ونقلوها بكل رونق واكرام الى هذه الكنيسة فدفنوها في ضريح خاصّ جعلوا فوقهُ كتابة بالشعر الكلدانيّ تشير الى المتوفّى ومقامهِ الرفيع وسنة وفاتهِ. فجئونا عند ذاك القبر وطلبنا شفاعة وليّ الله وصلينا لاجل نموّ وازدهار رهبانيتهِ

ثمّ خرجنا من هناك لنزور مكتبة الدير فوجدنا فيها مع صغرها مخطوطات كلدانيّة وعربيّة استفدنا منها لتاريخ الآداب النصرانيّة في جهات الموصل. ورهبان الدير اذا فرغوا من فرائضهم الدينيّة وبقيّة لشغالهم انقطعوا كقدماء الرهبان الى نسخ الكتب فهمّتهم وهمة امثالهم نجت تآليف كثيرة من تيّار الزمان

ثمّ اختلطنا بابناء الاب جبرائيل في تلك الليلة وعاينّا شظف عيشهم وزهدهم بكلّ ملاذّ الدنيا وحضرنا صلواتهم القانونيّة وتباحثنا معهم ملياً عن تاريخهم وامور رهبانيتهم فذكّرونا بالاب يوسف لابوردِ الذي سكن بينهم سنين وتفرّغ لتعليمهم

اللاهوت و كان بينهم مثالاً لكلّ الفضائل الرهبانيّة. ثمّ رقدنا في قلاليهم الصخرية فكان رقادنا بينهم من اطيب الليالي

وعلى مسافة قريبة من دير ربّان هرمز شرقاً فوق قرية تُدعى عين سفنة كنيسة خصب مزار اليزيدية المعروف بالشيخ عادي فهناك كما يزعمون قبره في مشهد عظيم شيدوه لذكره. امّا الشيخ عادي هذا زعيم اليزيديّة فقد اختلفت الآراء في حقيقة امره وزمانه ومآثره ( فلتراجع مقالة حضرة الاب انستاس الكرملي في هذا المذهب ومنشئه في السنة الثانية من المشرق ). والبعض يزعمون انّ عادي المذكور هو هو القديس أدّي او عدّي احد السبعين تلميذاً الذي بشر بالنصرانية في العراق فحفظ اليزيديون ذكرهُ بعد ان مرقوا عن النصرانية. واجع مقالة للاب بسون ( Besson ) من قدماء المرسلين اليسوعيين في القرن السابع عشر نشرها المستشرق پردويزه (Mr. P. Perdrizet) في مجلة جغرافية عنوانها (Société de Géographie de l'Est, 1903, p. 280 et 429 ) ثم كتاب رحلة البارون فون اوبنهيم ( Max von Oppenheim ) من البحر المتوسط الى خليج العجم ( ص ١٤٧ — ١٦٠ ). امّا مزار الشيخ عادي فقد دخلتهُ سيدة انكليزيّة تدعى جرترده بال فوصفتهُ وصفاً مدققاً في خبر رحلتها ( G. L. Bell: *Amurath to Amurath*. p274-279 ) ويزعم البعض ان تلك الابنية بقايا دير نصراني قديم اتخذه اليزيدية في القرون الوسطى كركز دينهم. وفيه تأييد لزعم القائلين بنصرانيتهم سابقاً

وفي غلس اليوم التالي قدّمنا الذبيحة الطاهرة في كنيسة ربّان هرمز وكان واقعاً في ذاك النهار عيد احد قديسي رهبانيتنا القديس استانسلاوس شفيع حضرة اخينا فشعرنا بتعزية كبرى لتلاوة صلواتنا في ذاك المعبد قريباً من ضريح شهيد من اقاربنا. ثمّ اسرعنا فودّعنا رئيس الدير المفضال وسائر رهبانهِ الذين اختبرنا فيهم جميعاً صحة قول احد القصّاد الرسوليين سنة ١٨٦٠ م انّ هؤلاء الرهبان يجمعون بين التقى والعلم فضفروا اطانفتهم اكليلاً من الفخر لا تقتنيه الأيام »

ثمّ رجعنا الى القوش حيث كان دعانا الى الغداء حضرة الاب بولس اودو ابن اخي المثلث الرحمات البطريرك يوسف اودو الشهير واخذنا عنده صور بعض المخطوطات القديمة وامثلة لاجود الخطّاطين المحدثين رجاء ان نحفر في مطبعتنا طابعاً

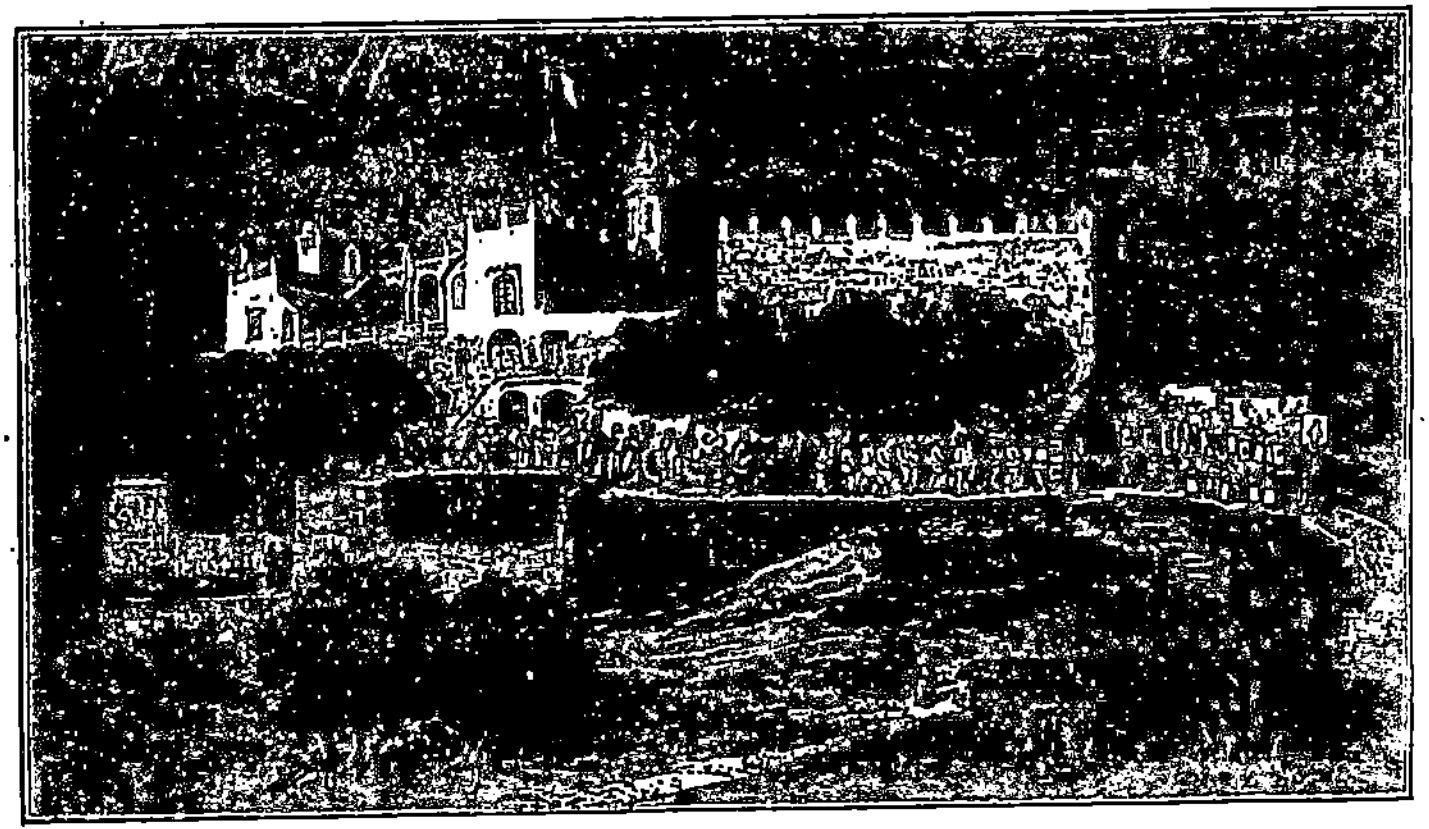

دير مار يعقوب للآباء الدومنيكان

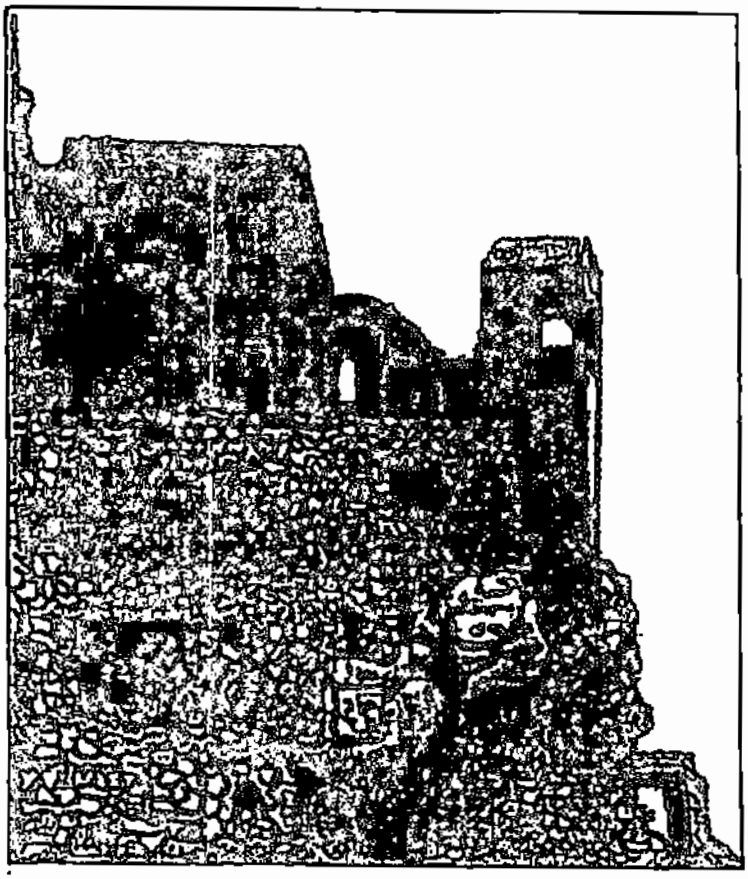

دير رئان هرمزد

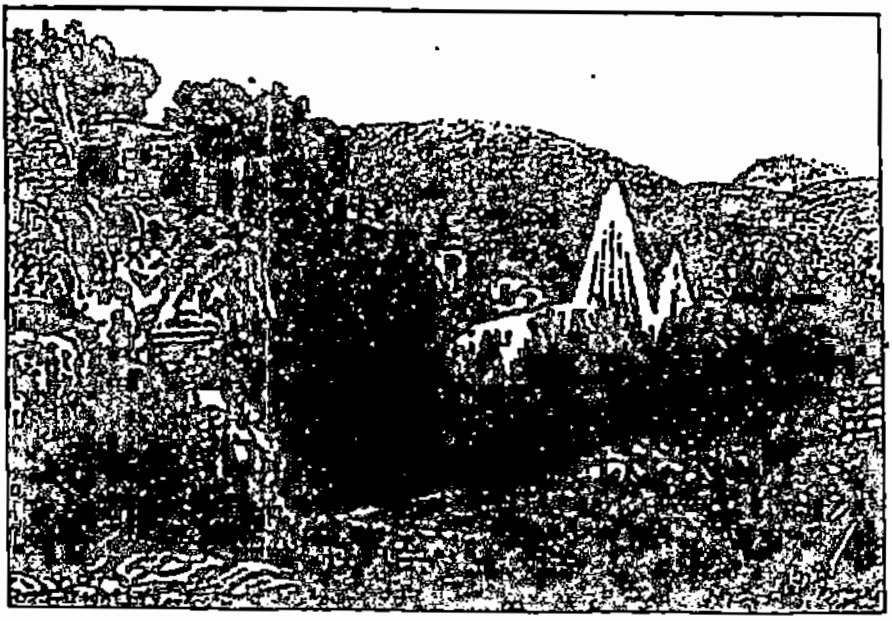

مزار الشيخ عادي لليزيديين

كلدانياً. وهو امر حال الزمان دون اجرائه فعلاً الى العام الماضي حيث نجز ذلك الطقم وهو اضبط قلم للكتابة الكلدانيَّة كما ترى

ܐܓܝ ܕܒܥܒܕܢܐ ܒܗܒܝܕ ܥܡܕܗ ١٨١٨ ܕܠܥܒܕܐ
ܒܗܝܐ ܒܓܢܡܗ ܐܒܓܕܐ ܕܒܥܒܕܢܐ ܐ ܕܙܕܢܥܐ ...

وبُعيد الظهر ودَّعنا اهل القوش ورهبان دير السيدة فسرنا الى تلّ اسقف من قرى الكلدان وسار في رفقتنا ثمانية فرسان ببنادقهم يتقدَّموننا في طريق يكثر فيها اللصوص لمرورها بين تلال. فلمَّا بلغوا بنا الى مأمن شكرناهم واعطينا كل واحد منهم تذكاراً تقويًّا فعادوا دَرْجهم مسرورين. تلّ اسقف قرية على ضفة نهر صغير عدد نفوسها من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ نفس كلهم كاثوليك يخدمهم كاهن شهير بغيرته وكرمه الاب هرمز. فهذا لما طُبع عليه من الاريحيَّة يقصده الضيوف من نصارى ومسلمين واكراد فيفيضون في محامده ويؤدون له كل الخدم التي يطلبها بل يتحاكمون اليه وينقادون الى حكمه دون تأخر. فعرفنا به ما للكهنة الافاضل من النفوذ حيثما وُجدوا. وقرب تلّ اسقف هذه قد احتفر اثريّ افرنسيّ يُدعى بلاس (Place) حفريَّات اوقفته على اوعية قديمة وكتابات اشوريَّة. وفي شرقي تلّ اسقف خربة خورساباد التي وُجد فيها هيكل سرغون مع الآثار الجليلة والتماثيل التي اغنت متاحف اوربة

قمنا قبل فجر اليوم التالي لنسير باكرًا مؤملين ان نحل الى الموصل في المساء. فبلغنا قرية بطنايا حيث قدَّسنا في كنيسة الكلدان. وبطنايا ايضاً كلها للكلدان الذين يناهز عددهم الالف. وكان راعيها لمَّا مررنا القس ابراهيم وكيل غبطة البطريرك عبديشوع والشبيه بالخوري هرمز في غيرته ونفوذه. فبعد القداس اراانا ما في كنيسته القديمة من المخطوطات الطقسيَّة البديعة ووجدنا عنده مآثر ادبيَّة اخرى لبعض كتبة الكلدان وشعرائهم كزساي ووردا وجاميع فيها ميامر ومواعظ ومقالات دينيَّة وادبيَّة. ثم رافقنا الى دير قريب من هناك على اسم مار اوراها كان قديماً للفاطرة فاستولى عليه الخراب لكنّ القسّ ابراهيم استنفد الوسع في ترميمه ومع قلة ذات يده امكنهُ ان يعيد له هيئته القشية ويجدّد كنيسته وكان له الرجاء الوطيد ان يجعلهُ قريباً مدرسة اكليريكيَّة. وترى اهل الجيرة يساعدونهُ طاقة

جهدهم حتى الاكراد منهم والعربان الذين ينذرون النذور لهذا الدير فتُجاب ادعيتهم . وليس بعيداً من بطنايا بحشيقا التي اكتشفوا فيها عـدداً لا يُحصى من الخزفيّات البابليّة

وقبل الظهر بساعة سرنا جنوباً الى قرية اخرى كبيرة اهلها ايضاً من الكلدان وهي تلّ كيف يبلغ بيوتها ٩٠٠ بيت وعدد نفوسها فوق ٥٠٠٠ حللنا عند كنيستها وقصدنا ان نسير منها الى الموصل في اصيل النهار لكنّ كاهن الكنيسة لم يدعنا نسافر ذلك المساء لانّ الطريق غير امينة فاقنعنا بان ننتظر صباح اليوم التالي فنسير في رفقة بعض المكارين . فتجوّلنا في البلدة وزرنا بعض اهليها . والتلكفيون قوم من ذوي النشاط يهاجرون الى المدن القريبة للارتزاق . ومنهم من يذهب الى بغداد يحترف لاهلها بالخدمة . والآباء الكرمليتان قد انشأوا في ديرهم في بغداد جمعيّة لهؤلاء التلكيفيين لاسيما الاولاد ليهذبوهم ويصونوهم ممّا يحدق بهم من الاخطار في الدين والآداب . وتلّ كيف مبنيّة بالحجارة على خلاف القرى المجاورة وفيها كنيستان كنيسة السيدة المعروفة بمرت مريم وكنيسة مار قرياقوس . وفي الاولى عدّة مخطوطات كلدانيّة كاناجيل وطقوس وبعض تفاسير للاسفار المقدّسة وميامر للآباء وقصائد دينيّة اكثرها لمار افرام ومار يعقوب

يوم الجمعة ١٥ ت١ قمنا في بطن الليل وبعد صلاتنا مشينا في معية ركب نزلوا الى الموصل . فكانت السماء تشعّ بنجومها الساطعة التي تُرى في ما بين النهرين اخراً وانور منها في بلاد الشام لاسيما السيّارات وبالاخصّ الزهرة التي كانت تنير طريقنا وكنّا غير مرّة نشاهدها في السماء بعد طلوع الشمس بزمن طويل لبهاء نورها

وبعد ان قطعنا التلال التي تفصل تلّ كيف عن الموصل بلغنا عند الفجر سهولاً رحبة كانت تنحدر الى دجلة . وكنا نرى من عن يميننا جبال الموصل حيث يقضي الموصليون فصل الصيف . وكنّا نميز في عطف الجبل ابنية ضخمة فافادنا بعض رفقتنا انّ تلك الابنية دير اليعاقبة الشهير بمار متّى حيث قبر ابن العبري امام اليعقوبية في القرن الثالث عشر الذي ترجمناه في السنة الاولى من المشرق فتمنينا لو يسمح لنا الوقت بزيارة ذلك الدير الذي استولى عليه الخراب في زماننا

ثمّ جدّدنا في السير نحو موصل الحدباء حتى لاحت لنا المدينة بمنائرها وابنيتها

وهي على ربوة تشرف على دجلة الجارية في شرقها فقطعنا النهر على جسر من القوارب كما فعلنا في الجزيرة. واذا بعامل اوقفنا ليتفقد حاجاتنا فاخذ تذاكرنا وصندوقة مذبحنا الثقال وكتاب صلاتنا وأبى ان يردّها فأكّدنا لهُ أننا نطالبهُ بها على يد قنصل فرنسة. ثم دخلنا البلد وسرنا توًّا الى دير حضرة الآباء الدومنيكان فاكرموا مثوانا واستقبلونا بمزيد الحفاوة. وكان رئيسهم حضرة الاب ديلامات (R. P. Delamette) نائباً عن حضرة الاب دوقال الذي كان الكرسي الرسولي استدعاه الى رومية قبل شهر ليعهد اليهِ بقصادة سوريَّة (البقية لعدد آخر)

# النهضة الكاثوليكية في حلب

## والرسالات الفرنسويَّة في القرن السابع عشر

للاب فرنسوا تورنيز اليسوعي (تابع)

انَّ النصف الثاني من القرن السابع عشر يستحقّ ان يُدعى العصر الذهبي للنهضة الكاثوليكيَّة في الشرق. فانَّ المرسلين الفرنسويين الذين كانوا بهمّتهم وقنانيهم زرعوا بالدموع اخذوا في اواسط القرن المذكور يحصدون بالفرح

على انَّ ذلك الفرح انَّما كان فرح القلب وتعزية الباطن اما في الخارج فانَّ حالتهم بقيت حرجة في مضايقة دائمة ممَّا يُصيبهم او يصيب ابناءهم الروحيين. ومن تصفّح الرسائل العديدة التي كتبها في ذلك العهد المرسلون وقناصل الدول وسفراء الاستانة يأخذه العجب من كثرة البلايا المحدقة بالرهبان الذين كانوا يفلحون كرم الرب في جهات الشرق ويتذكّر تعداد بولس الاناء المصطفى لاخطاره في التبشير حيث قال (٢ كور ١١: ٢٦) «كنت في اخطار السيوف وفي اخطار اللصوص وفي اخطار من امَّتي واخطار من الامم واخطار في المدينة واخطار في البريَّة واخطار في البحر واخطار بين الاخوة الكذبة وفي التعب والكدّ والاسهار الكثيرة والجوع والعطش والاصوام الكثيرة والبرد والعُري...»

فهذا الوصف ينطبق بتمامهِ على حالة المرسلين. فانَّهم بوجودهم في بلاد اجنبيَّة

ما كانوا يعرفون لا اهلها ولا عاداتها ولا لغتها كانوا معرَّضين كل يوم لمضايق شتى. فكانوا لا يعيشون الَّا من بعض حسنات تُرسل اليهم من بلادهم اذا تأخرت بلغت حالهم الى الضنك والعوز. وقد افادنا الاب بسون في تاريخه *La Syrie* (Besson. p.31) ان معاشهم كان كصوم متواصل ثم قال: « قلما نعرف رسالةً اجنبيَّة يعيش اصحابها في شظف من العيش اعظم من المرسلين الموجودين في هذه الانحاء. »

وكذلك المسكن فان المرسلين في حلب كانوا في اسوأ حال. وما نعلمهُ عن اليسوعيين خصوصاً انهم لم يمكنهم على طول القرن السابع عشر ان يقتنوا لهم بيتاً يسكنونهُ فكانوا يبيتون غالباً في خان الفرنج في حجرتين او ثلاث حجر يتكرَّم عليهم بها قناصل الدولة الفرنسويَّة. فهناك يقضون عامَّة اشغالهم الروحية والادبيَّة والماديَّة. ومثلهم الكبوشيون والكرمليتان

وكانوا اذا سنحوا من تلك الحالة واستأجروا لهم بيتاً وجدوا من اعداء دينهم من ضروب المصادرات واصناف المحن ما يضطرُّهم الى الرجوع الى خان الفرنج فيعيشون في ضنك وازدحام لا يمكنهم التصرف في اعمالهم الرسوليَّة كما يشاؤون. ولولا ان لارباب الطوائف كانوا يدعونهم للوعظ والتعليم وتوزيع الاسرار في كنائسهم لما استطاعوا خدمة الشرقيين في مهامِّهم الروحيَّة

وهذه المشاق التي كانوا يقاسونها في منازلهم كانت تتضاعف اذا خرجوا. فانَّ بعض اشقياء المسلمين كانوا يرقبونهم فتارةً يوسعونهم شتماً وتارةً يضربونهم بعصيهم او سيوفهم وكثيراً ما كانوا يجرِّدونهم من بعض ثيابهم او يطالبونهم بالمال او يلكمونهم مجدِّفين على دينهم الى ان يقوم احد من عقلائهم فيردَّ عنهم اولئك الاجلاف لاسيما اذا راى صبر الرهبان وإغضاءهم عن مضطهديهم

وكان الاذى يلحق بهم في بعض الاحيان من قبل الولاة واصحاب الامر. فانَّ حلب كان يتوالى فيها الحكام الاتراك فيسرعون الى جمع المال بكل ما امكنهم من الوسائط لعلمهم بانَّ وقتهم قصير وان الدولة تطالبهم بمبالغ عظيمة لا يمكنهم الحصول عليها الَّا بالوسائل الذميمة. وكان الولاة يطمعون خاصة بالمرسلين ويجاء ان يصيبوا سهماً كبيراً من المال المرغوب. لنا على ذلك شواهد متعدِّدة ملأ كتباً ضخمة منها ما اخبره القنصل الفرنسوي پيكه (Picquet) عن بشير باشا الذي تولى

الحكم من السنة ١٦٥١ الى ١٦٥٦ فهذا مدّة ولايته لم يألُ جهدًا في مصادرة الحلبيين لاختلاس اموالهم. ثم جعل العيون على المرسلين ليرصدوهم ليلًا مع نهار حتى اذا وجدوهم يصلّون في غير المعبد القنصلي يعلمونهُ بامرهم فيصادرهم بالمال. فزجَّ لذلك في الحبس الاب شيزو ( A. Chezaud ) اليسوعي واحد الاخوة الساعدين ريمون بورجوا (R. Bourgeois) وضيَّق عليهما في السجن وامر بضربهما حتى ان الاب شيزو مرض مرضاً عضالًا فرحمها بعض الفرنج وفداهما بمبلغ من المال. وكذلك راهبان كبوشيّان كبلهما بشير باشا بالاغلال ولم يزل يصادرهما حتى خلصهما القنصل الفرنسوي بماله الخاصّ

على انَّ المرسلين الفرنسويين كانوا لا يعدُّون اتعابهم وآلامهم شيئاً في سبيل خلاص القريب فانَّهم مع فقرهم المُدقع كانوا يسعفون المساكين على قدر استطاعتهم فيقتسمون معهم القليل الذي لديهم. وكانوا غالباً يحرّضون تجار الفرنج على الاحسان اليهم. وكانوا يطوفون البيوت ليجمعوا الصدقات للاسرى والعجزة فيلطّفون بذلك اوجاعهم وينتهزون الفرصة ليلهموهم الصبر والتسليم لمشيئته تعالى وممارسة بقيّة الفضائل المسيحيّة

وقد امتاز المرسلون بحنانهم على المرضى وعنايتهم بالمسقومين فكانوا يعودونهم على اختلاف اديانهم ويوزعون عليهم الادوية. بل جعل المرسلون يدرسون الطبّ لمعالجتهم اذ كان الاطبّاء في ذلك الوقت اعزّ من بيض الانوق. فاشتهر في الطبابة الاب شيزو السابق ذكرهُ (١ ومثلهُ الاب گوده (٢ وكذلك الاب سيلوستروس الكرملتاني (٣ والآباء الكبوشيون (٤ فكانت هذه اعمال الرحمة الجسدية كوسيلة لمساعدة النفوس وإعدادها لآخرتها

وقد ظهرت خصوصاً محبة المرسلين للقريب في حلب مدة الاوبئة العديدة التي فتكت بأهلها في القرن السابع عشر. فان الطاعون فشا في انحاء الشام ثماني دفعات في ذلك العهد وكان لحلب من ضرباته السهم الأفوز لاسيما في السنوات ١٦٥٢ و١٦٦١

---

١) اطلب الآثار الخطيّة لتاريخ الكنائس الشرقيّة (Rabbath: *Documents*, I, 53, 400)

٢) الآثار الخطيّة (Ib. I, 420)

٣) فيها (Ib. I, 438-439)

٤) فيها (Ib. I, 519)

و١٦٦٩ و١٦٨٦ و١٦٩٢ فان العدوى كانت تفتك فتكاً ذريعاً بالاهلين وحلب منقطعة عن المدن بعيدة من الجبال فكان يموت بوقت قريب الوف مؤلفة . كتب المرسلون ان سنة ١٦٩٢ كان عدد موتى النصارى كل يوم مائتين اما المسلمون فكان ينيف عدد موتاهم على الألف وبلغ في طاعون ١٦٦٩ العشرة الآلاف في احد الايام حتى قيل ان ثلث بل نصف اهل حلب ذهبوا ضحيّة الوباء . فالرهبان الفرنسويون كانوا اذا تأكد وقوع الموتان تخصصوا بخدمة المطعونين وسكنوا في وسطهم منقطعين عن اخوتهم الرهبان ليثابروا دونئذ على اشغالهم مع السالمين . وقد ذكر الآباء الكرمليتان في سجلاتهم (١ اسماء المرسلين من الفرنسيسيين والكبوشيين والكرمليتان واليسوعيين الذين نالوا من رؤسائهم نعمة المخاطرة بحياتهم في خدمة المصابين وقد مات بعضهم شهداء محبتهم من رهبانيات مختلفة منهم سنة ١٦٦٩ الاب جان پيار ( Jean Pierre de la Mère de Dieu ) رئيس الكرمليتان

فالله تعالى لم يدع كل هذه الاتعاب والشدائد التي قاساها المرسلون محبّةً بالنفوس دون جزاء بل اتت باثمارها الشهيّة وفقاً لمواعيد المخلص حيث قال ( يوحنا ١٢ : ٢٤ ) : « الحقّ الحقّ اقول لكم انّ حبة الحنطة التي تقع في الارض ان لم تمت بقيت وحدها وان ماتت اتت بثمر كثير »

قلنا انّ هذه الاثمار الجيدة التي جناها المرسلون الفرنسيون في حلب انما كانت في القسم الثاني من القرن السابع عشر . والفضل في ذلك لا يعود فقط للمرسلين بل لقناصل دولتهم الذين كانوا في اواسط ذلك الجيل من ذوي الدين والشهامة فجاروا الرهبان في خدمة الكثلكة . نخصّ منهم بالذكر القنصل انج دي بونين ( L'Ange de Bonin ) من ١٦٣٩ الى ١٦٥٢ ثمّ فرنسوا پيكه ( Fr. Picquet ) من ١٦٥٢ الى ١٦٦١ وفرنسوا بارون ( Fr. Baron ) من ١٦٦١ الى ١٦٦٩

فهؤلاء الثلثة قد اجمع معاصروهم على اطراء محامدهم . فانّ انج دي بونين احسن ادارة امور دولته مدّة قنصليّته في حلب . وقد اثنى على همته الاب بسّون في تاريخه ( ص ٦٢ ) وذكر الخدم الطيبة التي خدم بها المرسلين حيث ذبّ عن حوزتهم وردّ مكايد اعدائهم وألّف قلوب الشرقيين بلطفه وفضله

١) راجع الآثار الخطيّة الجزء الثاني (Documents II, 5,10)

واشهر منه فرنسوا پيكه الذي خلفهُ في رتبته بعد وفاته. فهذا الرجل كان من اسرة صيارفة فرنسويين من مدينة ليون ولد يوم عيد الفصح من السنة ١٦٢٦ فعُرف منذ نعومة اظفاره بجلالهِ الحسنة وذكاء عقلهِ ورسوخهِ في الدين والتقى فعرفت سموَّ فضلهِ الدوقة دي اغويليون اذ كان يدرس في باريس فطلبت من الملك لويس الرابع عشر ان يتعين فرنسوا پيكه بصفة قنصل عام على حلب. فاجاب الملك الى ملتمسها بعد ان تحقق ما اتَّصف بهِ الشاب من السجايا الطيبة مع كونه لم يتجاوز السنة ٢٦ من عمرهِ. فما وصل الى حلب حتى اقرَّ الجميع بفريد خلاله وتيسروا فيهِ الخير للوطن وللدين معاً. ولم يخب ظنهم فيهِ فانَّ هذا الرجل العظيم قضى في حلب تسع سنوات كان لهُ في كل يوم منها مبرَّة بل مبرَّات فانهُ منذ وصوله اكتسب ثقة ابناء دولته بنزاهته واستقامته وتجرُّدهِ لنجاح امورهم. واجتلب مودة النصارى على اختلاف طوائفهم بما اظهر من التقى والتدين واكرام ارباب الدين ومساعدة المسيحيين في كل حاجاتهم الدينيَّة والزمنيَّة. بل تودَّد للمسلمين وعمَّال الدولة بما كان يجود به عليهم من الصلات والالطاف حتى ضربوا المثل في كرمه. اما المرسلون فعدُّوه كواحد منهم لما راوا من فضله العميم ومن غيرته المتقدة في خدمة الكنيسة الكاثوليكية وترقية شؤونها بين اهل الشرق

على ان القنصل پيكه مع ما كان مزداناً بهِ من الصفات كان ذا اباء عظيم وحمية جنسيَّة لم يحتمل معهما ضيماً ولم يرضَ بظلم او جور فكان في الدفاع عن حقوقه او حقوق ذويه لا يخاف لومة لائم ولمَّا اراد بشير باشا ان يهضم شيئاً منها تصدى لهُ وردَّ بشهامة كل مطالبه غير مكترث لغيظه ووعيدهِ. وداوم على خطته حتى توالت الشكاوى على الوالي الى الباب العالي فاراد السلطان عزله لكنَّ بشير باشا عصى على الدولة وجمع الجند لمحاربة جيوشهم فخاف نصارى حلب على نفوسهم ونسائهم وذراريهم الَّا ان القنصل پيكه اوقف نفسهُ للذَّود عن حياضهم فلم يصابوا بأذى بل جاهر بشير باشا باكرام القنصل وفوَّض اليه احكام النصارى فكان الكل بلسان واحد يشكرون عدله واستقامته حتى جعل المسلمون انفسهم يتحاكمون اليه. فمنع بجاهه كثيراً من المظالم ريثما اوسل الباب العالي عسكراً لمحاربة بشير باشا تحت قيادة حسن باشا مستشار الدولة الذي كان سابقاً كاخية بشير باشا في حلب. فلمَّا قدم

بجيشه الى الشهباء. ارسل الى القنصل بيكه واكرمهُ ايَّ اكرام واتفق معهُ على الوسائل لقصّ جناح الثورة فتمّ لهُ الامر كما شاء. فعظم في اعينه القنصل واهداه اثمن الهدايا من جملتها آنستان من اجمل فتيات دارهِ فردَّهما القنصل شاكرًا ومُعلناً بنذره للعفة. فكان هذا الفعل داعياً للعجب والانذهال في اعين جميع اهل حلب. وثبت القنصل بيكه تسع سنوات في حلب قدوةً لاهلها في كل الفضائل المسيحيَّة الى ان قدَّم استعفاءهُ ليلبي دعوة الله في الكهنوت فسافر سنة ١٦٦٢ الى رومية ومعهُ ٢٥ من الاحداث اختارهم ليدرسوا في مدرسة انتشار الايمان ومدرسة الموارنة ثم يعودوا ويسعوا في خدمة ابناء طوائفهم. وبعد ان واجه في رومية الحبر الاعظم اسكندر السابع الذي استخبره بالتفصيل عن احوال كنائس الشرق ثم باركهُ واثنى على حسن دينه عاد الى فرنسة واستعدَّ لدرجة الكهنوت فسيم كاهناً بعد سنتين وبقي في ليون مدةً يباشر كل اعمال خدمة النفوس بغيرة لا تعرف الملل وكان الملك والكرادلة وكبار الدولة يطلبون مشورتهُ في معرفة احوال الشرق فخدم الشرقيين خدماً لا تحصى. الى ان اختاره الحبر الاعظم اينوشنسيوس الحادي عشر كقاصد رسولي على بابل وبلاد العجم فرُقّي الى درجة الاسقفية في ايلول سنة ١٦٧٧. ثم علم البابا حاجة كنائس الشام الى قاصد للنظر في امورها وتوطيد الايمان في قلوب المرتدين الى الكثلكة فعهد الى السيد بيكه بهذه القصادة فعاد الى حلب ودبَّر كل شيء بحكمته كما سترى ثم سافر الى العراق العجمي ليمتني بكنيسة بابل فخرج من حلب سنة ١٦٨١ واجتمع ببطريرك الكلدان يوسف الاوَّل في ديار بكر ثم رحل الى جهات الارمن بامر الكرسي الرسولي فزار كنائسها ثم دخل العجم وحظي في اصفهان بمواجهة الشاه عباس سنة ١٦٨٤ وقدم لهُ رسالة ملك فرنسة والطافهُ. ثم رحل الى مدينة همدان حيث اخذ يُعنى بكل شؤون كنيسة بابل وكنائس العجم المنوطة بتدبيرهِ لكنهُ اصيب بعد اشهر بداء عُقام فاستعد للملاقاة ربِّه ومات موت الابرار في ٢٥ آب سنة ١٦٨٥ وكتبت ترجمة حياته المطوَّلة فطبعت في باريس بتفاصيلها الشائقة (Vie de Messire François Picquet, *Paris*, 1732)

وقد اطلنا في ذكر اعمال فرنسوا بيكه لما له من الفضل في ترقي الكثلكة في حلب كما سترى وكان لمَّا قدَّم استعفاءهُ عين كخلف لهُ في وظيفته رجلًا اختبر تقاه

وغيرتهُ اسمهُ فرنسوا بارون ( Fr. Baron ) الذي اقتفى آثار القنصل پيكه وخدم مثلهُ صوالح الوطن والدين انصح خدمة كما شهد عليه رؤساء الرهبانيَّات الفرنسويَّة الثلث في حلب اي اليسوعيون والكبوشيون والكرمليتان في رسالتهم المؤرخة في سنة ١٦٦٢ وكذلك بطاركة الارمن والسريان والروم في رسائلهم الى ملك فرنسة سنة ١٦٦٣ (١

فكان هؤلاء القناصل كما سبق عضدًا للمرسلين الذين ضاعفوا همَّتهم في فلاحة كرم الربّ الموكل الى عنايتهم . وكان املهم الكبير ان يجلبوا الى الكنيسة الكاثوليكيَّة امّ الكنائس المنفصلين عنها دون جدال او خصام فيقنعوهم بصحة العقائد الرومانيَّة استنادًا الى تعاليم اجدادهم وآباء كنائسهم وشواهد طقوسهم

وكان افتتاح اشغال المرسلين مع الموارنة وكلهم كاثوليك بسطاء القلب مستعدُّون لقبول تعاليم الايمان برغبة وسرور . وكانوا فقراء قليلي العدد يخدمهم كهنة من لبنان ذوو علم زهيد يرتزقون بالحياكة وكنيستهم على اسم النبي الياس صغيرة في حي الجديدة . فانكبَّ المرسلون على تدبير هذا القطيع الصغير فرعوه بكل قواهم وثبتوه في الايمان القويم وانعشوا فيه روح التقى والاقبال على الاسرار . فكان الموارنة في مقدمة الجميع في ممارسة الفضائل المسيحيَّة واستماع الارشادات والمواعظ واتخاذ العبادات الكنسيَّة والانضواء في الاخويَّات الصالحة . واذ سعى بعض ذوي الاغراض ان يضعوا حدودًا لغيرة المرسلين بشكايات باطلة رفعوها الى غبطة البطريرك يوسف العاقوري لم تلبث هذه الغيمة ان تنقشع . فضاعف المرسلون اهتمامهم بموارنة حلب ثم تحسنت شؤونهم واخذ عددهم يربو شيئاً فشيئاً فبلغ سنة ١٦٧٠ نحو ١٥٠٠ وناهز ٤٠٠٠ سنة ١٦٨٥ . وفي ترجمة حياة القنصل پيكه (vie de Fr.Picquet,p.50-54) انهُ انقذهم من شرور معاديهم ونال لهم من المجمع المقدَّس ومن اهل البرّ في فرنسة صدقات واسعة كان يوزّعها عليهم وكان يوصي بكهنتهم المسافرين الى اوربَّة لجمع الحسنات . واذ راى اليسوعيون ان كنيسة النبي الياس ضاقت بهم سعوا لدى الفقراء لينالوا لهم فرمانًا لتوسيع تلك الكنيسة لا سيما الاب ديشان

(١ راجع الآثار الخطيَّة (Documents, I, 467, 469, 475)

(P. Deschamps). وما لبث بعض تلاميذ مدرسة الموارنة في رومية ان عادوا الى وطنهم واشتغلوا مع المرسلين في تهذيب ابناء طائفتهم واعدّوا لها قرناً ذهبيًّا في الجيل التالي على عهد الطيب الذكر جبرائيل فرحات

وكانت خدمة المرسلين للكنيسة السريانية اخطر واعظم. فانّنا روينا سابقاً ارتداد اندراوس اخيجان بن عبد الغال مربّي الى الكثلكة وسيامتهُ اسقفاً على حلب بيد انَّ هذا الحبر الجليل ما كاد يجلس على كرسيّهِ حتى قامت قيامة اليعاقبة عليهِ وضايقوه بضروب الدسائس فخاف اندراوس على حياتهِ وهرب الى لبنان لكن المرسلين بمساعدة القنصل پيكه نالوا لهُ الفرمان الشاهاني من الباب العالي مثبتاً سلطتهُ على سريان حلب وعرضوا على الوالي ابرهيم باشا واقع الحال وبينوا لهُ خباثة اليعاقبة. فامر الوالي بارجاع اندراوس الذي اخذ منذ ذاك الحين يسوس رعيتهُ بكل تُقى ويدعو طائفة السريان الى نبذ البدعة اليعقوبيَّة واتّباع الكنيسة البطرسيَّة. ومع ما اصابهُ من المشاقّ من قبل المخالفين بقي في منصبهِ وعرفهُ انكرسي الرسولي بل ارسل لهُ بطريرك اليعاقبة منشوراً يقرّهُ على حلب ويصرّفهُ في الرئاسة. فكان ذلك فوزاً عظيماً للكثلكة. ولم يزل الاسقف اندراوس يجدّ ويكدّ في ارتداد السريان المخالفين حتى قلع من قلوبهم زوان الضلال (١

على انَّ المرسلين وكاثوليك حلب لم يكتفوا بما نالهُ اندراوس اخيجان من التقدُّم لكنهم راوا ان الايمان الكاثوليكي لن ترسخ قدمهُ في الكنيسة السريانية ما لم يكن لهم بطريرك كاثوليكي. فساعدهم الزمان في ادراك مأربهم. ففي تلك الايام توفّي بطريرك اليعاقبة المسمى يشوع بن قشه فراى القنصل الفرنسوي « بارون » خلف المسيو پيكه وكافّةُ المرسلين مع كهنة حلب انَّ تلك انسب فرصة لترقية اندراوس اخيجان الى الرتبة البطريركيَّة فنال له القنصل البراءة الشاهانيَّة وارسل لهُ البابا اسكندر السابع دوع الرئاسة ورُقّي الى السدة البطريركيَّة في ٢٠ آب سنة

١) راجع كتاب عناية الرحمان في هداية السريان للسيّد ديونوسيوس افرام نقّاش (ص ٤٣–٥٠) وكتاب الزهرة الذكيَّة في البطريركيَّة السريانيَّة للقس اسحاق ارملة (ص ٨٨) والسلاسل التاريخيَّة في اساقفة الابرشيَّات السريانية للقبكنت فيليب دي طرازي (ص ١٧٨–١٨٧)

١٦٦٢ على يد بطريركين كانا اعلنا بخضوعهما للكنيسة الرومانيَّة اي البطريرك مقاريوس زعيم الروم الملكي وخشادور بطريرك سيس على الارمن مع مطران حلب يومئذ روجيحان اخي اندرواس الذي سُقف في ذلك اليوم عينه ليساعد البطريركين في رتبة تنصيب البطرك الجديد. فكان اندراوس اول بطريرك كاثوليكي على السريان بعد رجوعهم الى طاعة الكنيسة الرومانيَّة. واضحت حلب مهدًا لتلك الطائفة الكريمة بمساعي المرسلين الفرنسويين

على ان الكنيسة السريانية لم تنجُ من الشدائد والاضطهادات فانَّ اعداءها الباقية تواطأوا عليها ولم يزالوا يتوسلون بكل الوسائل لمعاكسة الكاثوليك الذين بذلوا النفس والنفيس لحفظ وديعة الايمان. وعقب السيد اندراوس في رتبته بعد وفاته الصالحة (١ سنة ١٦٧٧ مطران القدس السيد غريغوريوس بطرس شاهادين الذي نال ايضاً من الحبر الاعظم درع التثبيت ومن الباب العالي الفرمان الشاهاني وأقيم بطريركاً في ٢ نيسان سنة ١٦٧٨ في حفلة تولَّاها مطران الموارنة جبرائيل البلوزاني ومطرانان ارمنيَّان مع مطرانين جديدين سيما في ذلك اليوم للسريان يشوع مصر شاه لكرسي اورشليم ورزق الله امين خان لكرسي حلب. وقد جاهد البطريرك الجديد لحسن جهاد في سبيل ايمانه ولاجله سيق اخيراً الى المنفى بمكايد اعداء الكثلكة رغماً عمَّا نالهُ من فرمانات الدولة وأُرسل سنة ١٧٠١ الى قلعة آطنه فوصل اليها مع المطران رزق الله امين خان بعد شقّ النفس فتوفي المطران ساعتين بعد وصوله ولم يلبث البطريرك ان تبعهُ للدار الباقية بعد ثلثة اشهر فلفظ روحهُ البارَّة في ٢٨ شباط سنة ١٧٠٢ وبموتهما نالت الكنيسة الحلبيَّة فخراً جديداً اعني نعمة الاستشهاد كما انَّ المرسلين الفرنسويين وجدوا في ثبات المرتدّين الى الحظيرة البطرسيَّة تعزية عظيمة لعلمهم بانَّ دم الشهداء افضل ما تُسقى بهِ زريعة الايمان لتنمو وتزكو. واليوم كانا يرى نتيجة تلك المحن بازدهار الكنيسة السريانيَّة الكاثوليكيَّة وانحطاط اليعقوبيَّة

وكما نفضت الكنيسة السريانيَّة غبارها في حلب في النصف الثاني من القرن السابع عشر كذلك الكنيسة الارمنيَّة استقت فيها من مناهل المرسلين الفرنسويين.

(١) كانت رتبة جنَّازهِ تقرأ للكنيسة الكاثوليكية اذ حضرها قناصل الدول وممثلو الدولة وصلَّى عليهِ ارباب خمس طوائف كاثوليكية بلغات كنائسهم

سبق لنا القول عن مساعي الاب شيزو اليسوعي في تهذيب ارمن حلب فبلغ عدد المتكثلكين منهم الى الالف في سنة ١٦٥٢. وجاراه في غيرته اليسوعيَّان الاب گوده والاب اميو (Amieu) ثم الاب سيلفسترس رئيس الكبوشيين والاب برونو رئيس الكرمليتان ولكلهم فضل كبير في تبشير ارمن حلب حتى ردُّوا اسقفاً ارمنيًّا كان من بلاد القبادوق مقيماً في الشهباء. على ان الاكليروس الارمني كان منقسماً فمنهم من يعضد المرسلين وينشطهم ومنهم من يعتبر اعمالهم كبخس واجحاف بالكنيسة الارمنيَّة. وكان وقتئذٍ مطران حلب الارمني محبًّا المرسلين يطرئ غيرتهم ويشكر اعمالهم الَّا انَّ جاثليق سيس في قيليقية الذي كان يقيم في حلب واسمهُ طورس (١٦٤٣ — ١٦٥٨) كان معادياً للكثلكة اخذ يحرّش مطران حلب على المرسلين ولعلهُ كان اغراه عليهم لولا ان كبير جاثلقة الارمن جاثليق اشتميازين المسمى فيليب اغباك (١٦٣٢—١٦٥٥) مرَّ في تلك الاثناء بحلب ورأى بالعيان مشروعات المرسلين فاثنى على همتهم واعلن لهم بمكتوبات صدره وبعواطفهِ الكاثوليكيَّة ودافع عنهم لدى ابناء ملَّتهِ فزاد بذلك اعتبار ارمن حلب للمرسلين وتواردوا لاستماع ارشاداتهم فانضوى منهم كثير الى البيعة البطرسيَّة

لكنَّ الكثلكة بين الارمن بلغت عزَّها بعد ذلك بقليل لمَّا توفي طورس وجلس على كرسي سيس الجاثليق خشادور (١٦٥٨ — ١٦٧٣) فاطلق الحريَّة التامَّة للمرسلين على ابناء ملته وكان يتردَّد الى منازلهم ويعمل بمشورتهم. ولدينا رسالة منهُ الى لويس الرابع عشر ملك فرنسة سنة ١٦٦٣ يصرّح فيها بايمانهِ وكذلك ارسل للحبر الاعظم اسكندر السابع صورة ايمانه على يد الاب سيلفسترس الكبوشي (١ واعلن بطاعتهِ لكرسي هامة الرسل. ثم رحل الى سيس وبقي على ايمانهِ وباسمه جاء الى حلب احد الاساقفة الارمن فخطب في صحة الايمان الكاثوليكي امام الشعب كلهِ واثبت حقيقة الرئاسة البطرسيَّة

وفي اثناء ذلك ارتدَّ كثيرون من الارمن في مقدَّمتهم مطران حلب وثلاثة عشر كاهناً كانوا كلهم يعتقدون عقائد الكنيسة الرومانية ويمارسون وصاياها. ولم

١) اطلب الآثار الحقيقيَّة (Documents, I, 467.473-473)

يستطع جاثليق القدس ازدوقدزور الداروني (١٦٤٥ — ١٦٧١) ان يثنيهم عن عزمهم

وفي تاريخ الارمن لتشامتشيان (Tchamitchian : *Histoire de l'Arménie*. III, 698) ما يؤيد ارتداد خشادور فانهُ روى هناك « ان هذا البطريرك في السنة ١٦٦٣ كتب الى البابا اسكندر السابع كتاباً على يد اسقف اشوتس اعلن فيهِ بايمانهِ الكاثوليكي واعترف برئاسة الحبر الروماني على الكنيسة جمعاء. وقد امضى معهُ ذلك الكتاب ثلاثة عشر اسقفاً ارمنياً وتسعة من رؤساء الكهنة (ورتبيط) »

فهذا الفوز الكبير كاد ينفي بين ارمن حلب آثار الهرطقة لاسيما بعد ان نما عدد الكهنة المرتدين وسيم ثمانية كهنة جدد بوضع يد البطريرك خشادور حتى بلغ عددهم عشرين كاهناً كاثوليكياً. على ان خروج خشادور من حلب نشط المنفصلين على مقاومة الكاثوليك فسعوا لدى الحكومة بهوانيس الذي كان اقيم كوكيل استقفي عليهم. فخاف هوانيس على نفسهِ من شرور الساعين وتوارى مدّة لكنّ القنصل بارون بنفوذهِ تمكن من كبح جماح المضادّين وكشف دسائسهم لدى ولاة حلب

وكان ختام القرن السابع عشر كصراع بين الارمن الكاثوليك يندهم القناصل والمرسلون الكاثوليك وبين الارمن الغريغوريين الذين خافوا ان يفقدوا شيئاً من امتيازاتهم الجنسيّة وصوالحهم الزمنيّة اذا اقرّوا بالرئاسة البطرسيّة. وقد قام في اواخر ذلك الجيل عدّة اساقفة يترشحون للبطريركيّات الثلث اعني جاثليقيّة سيس وجاثليقيّة القدس وجاثليقة اتشمياذين منهم كريكور بدساغ (١٦٨٣—١٦٨٩) وازدوقدزور السموني وماتيوس سارّ القيصري وكانوا كلهم يتظاهرون بالكثلكة رجاء ان يفوزوا برتبة الجاثليق او يسعفهم القناصل لدى الباب العالي لنوال الفرمان المثبت لرئاستهم. وفي سجلّات الآباء الكبوشيين ان كريكور بدساغ جاثليق سيس جحد اضاليل الارمن على يد الاب پيار دي بلوا (Pierre de Blois) سنة ١٦٨٩

فهذه الغايات الزمنية كانت تريب المرسلين في صحة ايمان رؤساء الارمن الّا انهم كانوا يرملون انّ ايمانهم سوف يقوى مع الزمان ويتأصلون شيئاً فشيئاً في الروح الكاثوليكي كما حصل بعد ذلك في اواسط القرن الثامن عشر (لهُ بقية)

# مطبوعات شرقية جديدة

HARVARD SEMITIC SERIES, III. — SUMERIAN IN THE HARVARD SEMITIC MUSEUM. PART I, CHIEFLY FROM THE REIGNS OF LUGALANDA AND URUKAGINA OF LAGASH, copied with introd. a. index of Names of Persons, by **Mary Inda Hussey**, PH. D. — *Cambridge U. S. A., Harvard University.* 1912. *Leipzig, Hinrichs.* 4°,36 *pp.* + 81 *plates.*

الصفائح السومرية في متحف هرفرد الساي

كثيراً ما تجاري السيدات الاميركيات العلماء بتصانيفهنّ . لنا على ذلك شاهد جديد في ما انجزتهُ آخراً سيدة تُدعى « ماري إنْدا هوسي » الحائزة لشهادة الدكتورية في الفلسفة . فانها استقرّت الصفائح الاشورية العديدة المصونة في متحف هرفرد فنقلت عنهُ صور ما كُتب منها باللغة السومرية (١ فصوّرت بعضها تصويراً شمسياً واخذت رسوم بعضها الآخر باليد فنشرتها في هذا القسم الاوّل من كتابها . ومن ينظر هذه التصاوير يقضِ العجب من دقتها وجلائها وضبطها التامّ . ومضامينُها غالباً اوراق حساب وفذلك وبيان حقوق وديون لهياكل الآلهة . يرتقي تاريخها الى نيف والفي سنة قبل المسيح من عهد لوغالندا واوروكجينا ملكي لاغاش . ولاغاش هذه من اقدم بلاد الكلدان السفلى (٢ وهي التي عُرفت بعد ذلك باسم تلّه فاجرى فيها الحفريات الاثري الفرنسوي دي سرزك ( de Sarzec ) ثم تبعهُ اللازم ( C^te. Cros ) وهناك وُجدت الصفائح المذكورة والمرجّح ان اهل البادية اختلسوها فباعوها سرّاً للاميركيين . ومهما كان من الامر فان مؤلفة الكتاب لم تهمل وسيلة في ابراز عملها في صورة وافية بالمرام ليرجع اليه العلماء في ابحاثهم ويتخذوهُ حجة في ما يكتبونهُ عن قدماء الاشوريين . وقد اشارت الى كل التآليف السابقة التي لها علاقة بصنفها والحقتهُ بفهارس للاعلام مع الالقاب اللاتقة بكل منها . فنمحض الشكر السيدة هوسي ونتمنّى ان الله ينسئ في اجلها لتنجز هذا السفر الجليل الذي من شأنهِ ان يوقفنا على احوال ملوك قدماء الكلدان ولعلّنا لا نلبث ان نعرف اخبارهم

١) راجع العدد السابق من المشرق ( ص ٧٨٨ )

٢) والبعض يقرؤون اسمها سيرپورلا

احسن من معرفتنا لاخبار الشام قبل عهدنا القريب . وكذلك نهنئ جناب الطبّاع هنركس (Hinrichs) الذي اجاد طبع هذا الكتاب حتى بلغ فيه الكمال س . ل

P. Alberto Vaccari J. S.: L'ARABO SCRITTO E L'ARABO PARLATO IN TRIPOLITANA. Grammatica elementare pratica, *Torino, G. B. Paravia*, 1912, in-8, VIII-187

القواعد الاصلية في اللغة العربية

منذ اعلان الحرب الايطالية التركية احسّ الايطاليون بحاجتهم الى معرفة اللغة العربية في طرابلس الغرب فتضاعفت همّة شبّانهم في درسها . واذ لم يجدوا في الايطالية كتاباً يرشدهم الى لهجة الطرابلسيين خصوصاً اراد احد الآباء اليسوعيين المتخرّجين سابقاً في كليتنا ان يسدّ الخلل نوعاً فوضع هذا التأليف كعجالة يستفيد منها الاحداث ريثما يضع غيره اوسع واجمع يُتخذ كدستور في التعليم . والكتاب يحتوي مع ذلك كثيراً من قواعد الصرف والنحو مع تمرينات ومباحثات عديدة تسهّل للدارسين التكلم بالعربية والكتابة فيها . وهناك ملحوظات خاصة باللهجة الطرابلسية مع تدوين لفظ اهلها بالحرف الاوربي . وفي آخر الكتاب مجموعة لاخصّ المفردات المستعملة في الكلام . فنهنئ حضرة المؤلف ونتمنّى لكتابه رواجاً ولا نكتم عليه وقوع عدّة اغلاط طبعية في كتابه يجب اصلاحها في طبعة ثانية ل . ش

GRAMATICA DE ARABE LITERAL por Clemente Cerdeira Interprete de España en Marruecos. I^a *parte, Imprenta Catolica, Beirut*, 1912, pp. IXII-215

الاصول العربية في اللغة الاسبانية

هذا ايضاً ثمرة الاحوال الجارية في شمالي افريقيّة . فان الشاب الاديب اكليمنضوس سردايره تسهيلاً للمعاملات الدولية بين مواطنيه واهل مراكش وضع لهم هذه الاصول وشرحها في الاسبانية . وهذا القسم الاوّل يتناول قواعد الصرف وما يختصّ بالمفردات من اسم وفعل وحرف . وقد اتّبع المؤلف في كتابه الاساليب الشرقية بعد ان تبيّن فضلها بدرسه العربية على اساتذة من بيروت . وكان المؤلف باشر بطبع الكتاب في المطبعة الحجرية الفرنساوية فطبع منهُ ١٢٨ صفحة ثم رأى في عملها خللاً وعدل لانجاز كتابه الى مطبعتنا الكاثوليكية فترى لذلك فرقاً كبيراً بين القسمين من حيث نظافة الطبع وجودة الورق والضبط . فاقتضى التنبيه ل . ش

Le P. Cyrille Charon : HISTOIRE DES PATRIARCATS MELKITES (Alexandrie, Antioche, Jérusalem). T. III. Les Institutions. Fasc. II, *Rome*, 1911, X-305 à 760)

تاريخ البطاريركيات الملكية – الجزء الثالث : الرسوم . القسم الثاني

ان حضرة الاب كيرلس شارون يواصل بهمة لا تعرف الملل التأليف الكبير الذي تولّى نشرهُ عن البطاريركيات الملكية والذي يتناول تاريخها القديم والحديث ورسومها ونظامها وحقوقها القانونية . وقد ظهر منهُ سابقاً قسمان وصفناهما في وقتهما . وها هوذا القسم الثاني من الجزء الثالث الذي خصهُ المؤرخ بالطقسيات والنظامات والعادات الجارية في البطاريركيات الملكية . . وهو قسم يجمع من المعلومات والافادات التي لا يمكن الحصول عليها في مكتبة واسعة . فالمؤلف حفظهُ الله بعد ان قضى عدّة سنين في الشرق لا يألو جهدهُ في درس الطقس اليوناني الملكي من كل وجوهه ويبحث في كل مكاتب الخاصة والعامّة حظي في رومية بفتح السجلات الواتيكانية الغنية بمثل هذه الكنوز البيعية فاستخلص منها لبابها ولم يدع مسئلة الّا طرق بابها فجاء كتابهُ عبارة عن مكتبة دينية طقسية قانونية يحتاج اليها ليس الروم الملكيون فقط بل كل من يُعنى بدرس العلوم الدينيـة الشرقية . فنحضّهم جميعاً على اقتنائهِ ونؤكد لهم انهم يجدون فيه ما طالما طلبوه في مصنفات اخرى دون جدوى . ونشكر باسمنا وباسم الشرقيين عموماً مؤلفهُ على وضعه تأليفاً كهذا مع ما تكلف عليه من المشاقّ جازاهُ الله الف خير ومكّنهُ من انجازهِ تماماً ل . ش

Karl Wied : Leichtfassliche Anleitung z. Erlernung d. Turkischen Sprache. 4^to *verbesserte Aufl.*, *d. Hartleben's Verlag in Wien u. Leipzig*, 1912. XIII-184

طريقة سهلة لتعلم اللغة التركية

ان ازدياد المعاملات بين الدول الاوربيّة والدولة العثمانيّة يقضي بدرس التركيّة اكثر من السابق وهذا ما حمل الاستاذ الالماني كَل قيد على وضع هذا الكتاب الذي طُبع بعد زمن قليل طبعته الرابعة وهي التي بلغتنا مؤخّرًا . فمن يقلّبهُ يتحقق حسن اساليبهِ ووضوحهُ وطرائقهُ التعليميّة القريبة المنال التي تمكّن الطالب من التعمق بعدئذٍ في دقائق اللغة . وقد احسن المؤلف على ظننا بالعدول عن كتابة الالفاظ

التركيّة بالحرف العربي في الاقسام الاولى من كتابهِ فرسمها بالحرف الاوربي الّا في القسم الرابع الاخير حيث يكون الطالب قد تأسس في اصول اللغة . فيستطيع الخوض في شرح نصوصها . الّا اننا لا نوافق المؤلف في طريقته لرسم بعض الحروف العربيّة او التركية بحرفين او ثلاثة او اربعة من الحروف الاوربيّة فيكتب الشين *sch* والجيم *dsch* والچيم *tsch* واذا كان الحرف مضاعفاً ضاعف هذه الحروف حتى تبلغ ثمانية جّ = *dschdsch* وهذا من الغرائب مع وجود طرائق سهلة لذلك بالحروف المشكلة ش = شّ او شّ ج = شّ او شّ وچ = چّ . فهذه الاصطلاحات شاعت الآن في اوربّة فنشير على المؤلف باستعمالها كما وددنا لو ان حضرة الاستاذ هرتمن (M. Hartmann) جرى عليها في كتابهِ عن لغة مصر والشام . ولا بأس ان يستدعي ذلك بعض النفقات مع زيادة اقبال الدارسين على هذه التآليف ل . رنڤال

THE MASS : A Study of the Roman Liturgy. By the Rev. Adrian Fortescue, *Longmans, Green and C°, London*, 1911, in-12, IX-428

بحث علمي في القداس على حسب الطقس الروماني

باشرت احدى الجمعيات الكاثوليكية في لندن (The Westminster Library) نشر مجموع من التآليف يشمل العلوم الدينيّة التي يُعنى بها الكهنة خاصّة . فصدر منها بالانكليزيّة عدّة منشورات بقلم مشاهير كاثوليك بريطانية العظمى . والكتاب المعنون آنفاً هو لاحد كهنتهم الافاضل حضرة الخوري ادريان فورتسكيو . الذي قضى سنتين في كليتنا البيروتية سابقاً متفرّغاً لدرس الطقوس الشرقية فأهلتهُ دروسهُ الى هذا التأليف الذي يقسم الى عشرة فصول وسبعين باباً فيتضمن كل الابحاث المنوطة بالذبيحة الالهية كاصلها الاوّل وتركيبها واقسامها ومؤلفيها والاختلافات الطارئة عليها وتعريف كل معانيها ورموزها ولغتها . وهو في كل فصل يشير الى التآليف المتعددة التي راجعها واستند اليها ويقابل بين الطقس الروماني وبقية الطقوس القديمة ما يدلّ على مطالعات واسعة وحسن انتقاد وذوق سليم . وهناك عدّة ابحاث تهمّ الشرقيين كمسألة استعمال اللغة اللاتينيّة ( ص ١٢٦ ) ومسألة القطير ( ص ٣٠٠ ) ومسألة المناولة على شكل واحد ( ٣٧٦ ) . وقد خصّ ملحقاً ( ص

٤٠٢) بمسألة الصلاة الى الروح القدس (Epiclèse) في القداس وختم الكتاب بجدول للكتب الطقسية الشرقية والغربية (ص ٤٠٨) ثم بفهرس مطوّل على سياق حروف المعجم. فهذا السفر الجليل كما ترى لا يفيد الغربيين وحدهم بل كل من يريد ان يحيط علماً بالطقوس الدينية ل. ش

Dr de Grandmaison de Bruno: VINGT GUÉRISONS à LOURDES discutées médicalement. 2e éd., *Paris, G. Beauchesne*, 1912, pp. 313

بحثٌ طبي في عشرين شفاء في لورد

هذا تأليف جديد ينطق بعظمة مريم البتول ورفعة مقامها في لورد. وليس المؤلف لاهوتيًا او فيلسوفًا بنى كلامهُ على القضايا المنطقيَّة والاحكام العقليَّة وانما هو طبيب نطاسي نال في باريس ان يُلحق باطبَّاء مستشفياتها البلديَّة اسمهُ الدكتور دي غراندمازون فلما سمع ما تناقلتهُ الالسن عن ضروب الشفاءات العجيبة الجارية في مدينة لورد بشفاعة ام الله اراد ان يتحقق الامر بعينهِ فانتقل الى ذاك المزار واخذ يستكشف على طريقة علميَّةٍ عن الحوادث العجيبة التي تُنسب الى شفاعة العذراء. فبعد ان تبيَّن صحتها مطَّلعاً على كل شهادات الاطبَّاء واوصاف المرضى قبل شفائهم وبعد شفائهم ونوع شفائهم عمد الى تحرير هذا الكتاب الذي اختار فيهِ عشرين من الشفاءات الجارية في لورد لجمع كل قرارات الاطباء عن كل مرض وعن معالجتهِ الطبيَّة واقرار الاطبَّاء بعجزهم عن شفائهِ بالوسائل المعروفة في زماننا ثم قابلها مع ما جرى بعد ذلك من الشفاء في حوض سيدة لورد وشواهد الاطباء وغيرهم من الثقات على انَّ ذلك لم يتمّ بعوامل طبيعيَّة ولا ادوية البتة بل تمّ على خلاف ذلك اما في ساعة دخول المريض في مياه الحوض واما عند طواف القربان الاقدس او بعد صلوات حارَّة في منارة السيِّدة بحيث لا يجوز نسبة الشفاء الى غير الله وسيدة لورد. وقد فند المؤلف كل ما توهَّمهُ اعداء الدين لنفي المعجزات كالاستهواء وغير ذلك حتى لا يسع القارئ الَّا ان يصرخ «انَّ اصبع الله لهاهنا». فالشكر كل الشكر للدكتور غراندمازون الذي وضع علمهُ الطبي في خدمة الدين ولم يُبقِ بادلَّتهِ عذرًا للملحدين الاب ك. ميجاسون

١ كتاب تمرين الطلّاب في علم الحساب (طبعة ثانية صفحاتها ٢٦٠ + ٦٠) =

٢ كتاب الادلة الغرّاء في سمو شأن مريم العذراء (صفحاتهُ وي + ٣٢٦)

والكتابان للعلامة الشيخ ظاهر خيرالله الشويري طبعا في بيروت سنة ١٩١٢ في مطبعة الاتحاد ويباعان في كل مكاتب البلد

تأليفان نفيسان جمع فيهما مؤلفهما الشيخ الفاضل بين الدين والدنيا و« ما اجمل الدين والدنيا اذا اجتمعا ». فالكتاب الاوّل مدارهُ على علم الحساب كان صاحبهُ حفظهُ الله نشرهُ قبل سنوات فأثنى ارباب المدارس على اتقانهِ وصراحة عبارته وتفننهِ في تنويع المسائل وطرق حلّ الامثلة. وها هوذا قد اعاد النظر في طبعهِ واضاف اليه من الابواب والفصول ما ضاعف مضامينهُ » حتى صار كافياً للتاجر والصانع والزارع والمحترف ». فنشكر همة المؤلف ونطلب من الله ان يمدّ في اجله ريثما يخدم الوطن بتطوّل في الحساب بشّرنا بتسْيله للطبع ثم بكتاب في الحساب العالي والمطالب الرياضية لا يزال ناقصاً في لغتنا العربيّة

امّا الكتاب الثاني فانهُ ادعى الى الثناء لانهُ يفوق على السابق فوْق الدين على الدنيا. وليس الكتاب ديني فقط بل هو مطرقة مهولة تدكّ في كل صفحة بل تسحق سحقاً الاضاليل البروتستانية العديدة التي اشاعوها في بلادنا بمطبوعاتهم وتعاليمهم فكنّا سابقاً زيّفنا كثيراً من تلك المزاعم الباطلة بردود مرسلي وهبانيتنا وقد سرّنا ان يقوم اليوم احد ابناء الكنيسة الارثذكسيّة فينتصر معنا للحقّ ويثبت اتفاق الكنيستين الشرقية والغربيّة في الحقائق الدينية التي ناقضها البروتستانت جزافاً فانكروها رغماً عن شواهد التاريخ وتواطؤ التقليد واحكام المجامع. فالمؤلف المحقّق كشف القناع عن سفسطاتهم في ١٧٥ صفحة من كتابهِ. ثم انتقل الى القسم الثاني الذي قصدهُ بعنوان الكتاب فجعل القسم الاوّل كتمهيد لهُ. وفيهِ يدافع عن شرف البتول الطاهرة التي تجاسر البروتستانت وانكروا ما خصّها الله بهِ من النعم والامتيازات كبتوليتها الدائمة وشرف امومتها الالهيّة وشفاعتها المشفعة وانتقال جسدها الى السماء وهو في كل ذلك يظهر الحقيقة في كل مجاليها ويثبتها بما لا يُنقض من الادلة. فما كنّا نقرأ من هذا الكتاب صفحةً الّا صرخنا « بارك الله في كاتبهِ ولا فُضّ فوهُ ». ومما سرّنا سروراً خاصاً ان جناب المؤلف لم يدافع فقط عن شرف

البتول الطاهرة بل عن بتولية خطيبها البار القديس يوسف ( ص١٩٢—١٩٣ ) وهو يؤيد بذلك رأينا الذي قرّرناه سابقاً في ردّنا على جريدة المنار الارثذكسية (في المشرق ٢ : ٤٣١ و٣ : ٣٨٠ و٤١٣ و٥١١ ) ويحسن القول اننا نوصي كل الكاثوليك فضلاً عن الارثذكس بمطالعة هـذا الكتاب الفريد في بابه وبنشره بين المؤمنين طاقة جهدهم وبالرجوع اليه في الردّ على السفاسف البروتستانية وبالشكر لمؤلفه على هـذه الخدمة الممتازة لكنيسة الله ل.ش

## كتاب طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م )

نشرهُ وذيلهُ بالحواشي واردفهُ بالروايات والفهارس الاب ل.شيخو اليسوعيّ

طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١٢ ( ١٤٥ )

هو الكتاب الذي نشرناهُ سابقاً في المشرق وعرف الكل عظم شأنه اذ يرتقي الى تسعة قرون ويحتوي من المعلومات ما لا تجدهُ الّا في قليل من كتب العرب. وقد عرف القدماء خطرهُ فنقلوا كثيراً من فصوله كجمال الدين ابن القفطي في تاريخ الحكماء وابن ابي اصيبعة في عيون الانباء وابن العبري في مختصر تاريخ الدول والحاج خليفة في كشف الظنون. وقد طبعناه على حدة وزدنا عليه ٥٥ صفحة ضمّناها الروايات في نسخ لندن واصلاحات شتى ثمّ خمس فهارس لموادّ الكتاب وأعلامه الشخصية والمكانية وغير ذلك ممّا يبين فضل هذا التأليف الفريد في جنسه الناطق بترقي عرب الاندلس في القرون الوسطى ل.ش

## كتاب آداب العرب

تأليف ابراهيم بك العرب

طُبع في المطبعة الاميريّة بمصر سنة ١٩١١ ص ١١٣)

كان قبل بضع سنوات محمد عثمان جلال المصري عرّب قسماً من امثال الكاتب الفرنسوي الشهير لافونتين ونظمها شعراً فاستحسن كثيرون عملهُ وقد اثنينا عليه في كتابنا علم الادب ( ج ١ ص ٢٢٢ ). وها هوذا كتاب من صنفه لاحد الشعراء العصريين جناب ابراهيم بك العرب ضمّنهُ مئة من اجود الامثال الادبية على السنة الحيوانات اختار مواضيعها من مصادر شتى ونظمها بشعر رائق

يفضل على نظم محمد افندي عثمان. فلا غرو ان نظارة المعارف المصرية قرّرت طبع هذا الكتاب على نفقتها وارصت بتدريسه في المدارس العمومية. وهذا مثل السرطان نقتطفهُ من الكتاب (ص ٦٨) دلالةً على طريقة المؤلف:

مشى السرطان يوماً باعوجاجٍ فقلّد شكل مشيتهِ بنوهُ
فقال: علامَ تنحرفون. قالوا: سبقتَ بهِ ونحنُ مقلّدوهُ
فخالفْ يبرك الموجَ واعدلْ فانّا ان عدلتَ معدّلوهُ
اما تدري أبانا كلُّ فرعٍ يجاري بالخطا من ادّبوهُ
وينشأ ناشئُ الفتيان منّا على ما كان عوّدهُ ابوهُ

# شذرات

براءة جديدة للحبر الاعظم — كان آخر هذا العدد ممثّلاً للطبع اذ بلغتنا براءة لقداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر يعمم فيها الرخصة لكافّة المؤمنين ان يتناولوا القربان الاقدس على اي صورة شاءوا من خمير او فطير على شكل واحد او شكلين. وسنعود الى هذا الموضوع ان شاء الله في عدد آخر

نحن والكلمة — اعارنا احد الاصحاب العدد ١٨ من الكلمة (١٥ ايلول ١٩١٢) الذي لم يُرسل الينا رأساً. واذا فيه فصلٌ عنوانهُ «صدق مجلّة الكلمة الارثذكسيّة وهذيان مجلة المشرق الجزويتيّة» (ص ٥٥٧ — ٥٦٦) فعرفنا الكاتب من طالعه. وظننّا ان سيادة المطران هراويني يثبت «هذيان مجلّة المشرق» في ردّها على مزاعم الكلمة واكاذيبها المتعدّدة التي فصّلناها في مقالتنا «كلمة في مجلة الكلمة» (المشرق ١٩١٢ ص ٢٢٩ — ٢٣٦) وفي نبذتنا «الكلمة وبطريرك القبط المستقيل» (ص ٣٩٨) وفي الشذرة «لغط الكلمة» (ص ٥٥٨): فسكتت المجلّة عن كل ذلك وكذبها فيه اضرأ من النهار زاعمة انها «لا تعلق على كلامنا ادنى اهمية» اذ هو «من جملة مخرفاتنا وتمويهاتنا الجزويتية» (كذا بحرفه) لكنها تحرّكت اخيراً لتكذيبنا لشاعتها في ارتداد جنرال كاثوليكي الى الارثذكسية وتشمّرت غيظاً لعدم تسليمنا لقولها بعد ان خدعت قرّاءها باشاعات كاذبة دللنا اليها مراراً فهي تزعم ان الخبر صحيح وان الجنرال المرتدّ الى الارثذكسية هو معروف. ونحن لا

نخاتجها في الامر اذا ثبتت حقيقتهُ وعليه قد راجعنا ثانية المراكز الرسمية في مدريد وبلغناها اقوال صاحب الكلمة وان شاء الله نفوز قريباً بالجواب فنورده بحرفه لقرائنا. وما كان احرى بسيادة المطران هواويني ان يثبت قولهُ بالبرهان دون ان يسوّد صفائح كلته بكلام يشمئز منهُ ادباء عصرنا. ونؤكد لسيادة الكاتب انهُ مخدوع بكثير من منقولاته عن المجلّات اليونانية والروسية المعادية للكاثوليك فيرويها دون ان يتحقق صحتها كشذرته مثلاً في العدد المذكور (ص ٦٥٩) التي عنوانها « شيعة كاثوليكية في بيلوستوك روسيا » لانهُ لو وُجدت شيعة كهذه بين الكاثوليك لحرّمتها الكنيسة بلا شكّ. وكذلك روايتهُ هناك عن الحرس البابويّ هو « خبر كاذب » او مبالَغ بهِ وعلى كلّ لا يجوز رواية هذه الاخبار دون اسنادها الى جريدة صادقة . والّا سقطت حرمة الراوي في اعين العقلاء. وذكّروهُ بالخشبة الانجيلية

﴿ ترقّي الكنيسة الكاثوليكية في الصين ﴾ بقيت الكنيسة الكاثوليكية مدّة نحو خمسين سنة تجاهد الجهاد المتواصل في انارة اهل الصين ودعوتهم الى الدين المسيحي وهي لا تلاقي من الاثمار ما يرازي اتعاب اولادها. فانّ الكاثوليك هناك كانوا يبلغون سنة ١٨٤٠ نحو ٢٤٠,٠٠٠ وبعد خمسين سنة كان عددهم ٥٤٢,٦٦٤ اعني بزيادة ٣٠٢,٦٦٤ فقط وكان المرسلون مع ذلك بلغوا ستة اضعافهم وكثرت الكنائس حتى صارت ثلاثة اضعافها. لكنّ هذه الحالة قد تحسنت كثيراً منذ عشرين سنة فبلغ عدد المتنصّرين سنة ١٩٠٩ ١,٢٣٠,١٨٠ بزيادة ٦٨٧٠٥١٦ وهذه الحركة قد زادت في السنين الثلث الاخيرة بتنصّر ٢٨٠,٠٠٠ من الصينيين فكان عددهم السنة المنصرمة ١٩١١ ٨٤,٠٠٠ وكاد يبلغ في السنة الحالية ١٠٠,٠٠٠ والمرجّح ان هذه النهضة كانت ثمرة استشهاد النصارى الصينيين في حرب البوكسير حيث فضّل الوف منهم الموت على جحود ايمانهم. وقد جعل اليوم اهل الصين يعتبرون الكثلكة اذناً صاغية فيدرسون تعاليمها ويعتبرون اعمالها العجيبة بينهم كمدارسها ومستشفياتها وملاجئها ومطابعها ومراصدها الفلكية ولا سيما فضائل ابنائها

﴿ جدول منقولات البريد الدوليّ ﴾ نشر المكتب العامّ للدول

المرتبطة بالوفاق البريدي الدولي جدول بمجموع ما نُقل بواسطته من المحمولات والطرودات سنة ١٩١٠ فاذا هي كما يأتي :

| المنقولات | عددها |
|---|---|
| المكاتيب | ١٠٥,٢٤٢,٦٧٧ |
| بطاقات بريديَّة ( كرت بوستال ) | ٢٧٧,٩٢٢,٠٨٦ |
| مطبوعات | ٥٥١,٩٢٩,١٦٨ |
| مساطر تجاريَّة | ٢٨,٢٧٣,٦١١ |
| ارسالیات خالصة الاجرة | ١١,١٦٦,٢٨٨ |
| طرودات اعتياديَّة | ٥٥,٤٠٥,٨٨٢ |
| طرودات مبنة قيمتها (البالغ مجموعها ٢٦٢,٤٥٠,١٢٥,٦ فرنكاً) | ٥,٧٧٠,٢٧٢ |
| حوالات على البوسطة (ثمنها ٦٢٩,٦٢٤,٦١٤,١ ف ) | ٢٨٬٨٢٩,٤٢٦ |
| جرائد للمشتركين | ٥١,٨١٢,٢١٢ |

## أسئلة واجوبة

س سألنا من سيرتنفلد ماس جناب الاديب اسطفان الحلو متى ابتدأ في الكنيسة تثبيت القديسين والفحص عن سيرتهم وعجائبهم قبل موتهم وبعده

تثبيت القديسين في اليمة

ج لم تسمح الكنيسة قطّ بان يُكرم احد ابنائها المتوفين برائحة القداسة حتى الشهداء منهم اكراماً علنيًّا دون رخصة الاساقفة الذين كانوا يتبينون صحة استشهادهم وحسن سلوكهم . فاذا ثبت لهم الامر كانوا يقيمون على قبر الميت مذبحاً ويقدّمون الذبيحة عليه . وقد افادنا القديس اوغسطينوس انَّ اسقف المحلّ في زمانه كان اذا استشهد احد لاجل الايمان يفحص عن الامر فحصاً مدققاً ثم يرسل نتيجة بحثه الى رئيس اساقفة الاقليم فيعلن باتّفاق الاساقفة الذين تحت رئاسته قداسة الشهيد وجواز اكرامه او ينفون ذلك الاكرام لعدم وجود الادلّة الكافية على الاستشهاد وحسن الاعمال . وكانوا يدوّنون اسماء القدّيسين في سجلّات الكنيسة والدبتخات ويقرأونها في ايّام الاعياد والآحاد . ثمَّ لحظ الاحبار الرومانيون ان ذلك الفحص لم يتمّ دائماً بالاعتناء الكافي فأكرم اناسٌ لم يستحقوا ذلك فاختصّ البابوات بديوانهم الفحص عن اعمال القديسين وتثبيتهم وذلك في القرن العاشر فكان اوّل قديس تثبّت على

هذه الطريقة اوليك اسقف اوسيرج وذلك في المجمع اللاتراني الاوّل سنة ١٩١٣. ثمّ وضع الباباوات عدّة مناشير فصّلوا فيها صورة الفحص عن قداسة اولياء الله وتبيان معجزاتهم لئلّا يحصل في ذلك ادنى تلاعب. ومن تحقّق اليوم كيف تجري الكنيسة في ذلك لا يستطيع ان يشكّ مطلقاً في سموّ فضائل القديسين ومعجزاتهم

س سألنا جناب سليم افندي صادر انعرف للبطريرك مكسيموس مظلوم المجلّدين الرابع والخامس من كتابه الكنز الثمين في اخبار القديسين

المجلّدان الرابع والخامس من كنز الثمين

ج هذان المجلدان قد اشار اليهما غبطة البطريرك المذكور في مقدّمته حيث ذكر انهُ يلحقهما بالمجلّدات الثلاثة الاولى المطبوعة في مطبعتنا لكنهُ عدل عن ذلك ولا نعلم سبب عدوله. امّا نسخ هذين المجلّدين فنظنّ انّ منهما نسخة في بطريركية الروم الكاثوليك في دمشق او في بيت الخواجات مظلوم في حلب لكننا لم نطّلع عليهما. وقد ورد ذكرهما في جدول مصنّفات البطريرك الذي سردهُ صاحب تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك (ص ١٢٤)

س سأل حضرة الخوري بولس صفير ايجوز ابقاء اشكال القربان اكثر من خمسة عشر يوماً ومتى تفسد تلك الاشكال

ج يؤخذ من جوابات المجمع المقدّس انّ اشكال القربان الاقدس ينبغي تجديدها كلّ ثمانية ايّام وعلى الاقلّ كل خمسة عشر يوماً. اما زمان فسادها فيختلف على اختلاف فصول السنة والامكنة وجنس الاشكال من فطير او خمير ويصعب تحديد وقت معلوم لفسادها وعلى كل حال يخطئ الكاهن الذي لا يتدرك خطر فساد الاشكال باهماله

س سأل احد كهنة ديار بكر ماذا تعرف عن احد كلدان ديار بكر ذهب الى ايطالية في القرن الثامن عشر وتوفّي فيها اسمهُ كيوركيس آدم

كيوركيس آدم

ج وجدنا في بعض مخطوطات مكتبتنا انّ المذكور كان اسمه كيوركيس ثمّ سيم كاهناً فدُعي حنّا ثم سافر من ديار بكر الى بلاد ايطالية وسكنها مدّة وتوفي في مدينة نابولي في ٣١ ايلول سنة ١٧٣٤ ودُفن جسمه في دير مار يوحنّا كريوتارا لرهبان مار اغوسطين وظهرت في حياته وموته اثار القداسة ل. ش